الأخلاق
في الأديان السماوية

السيد ابو ضيف المدني

دار الشروق

الأخلاق

في الأديان السماوية

السيد ابو ضيف المدنى

الأخلاق في الأديان السماوية

دار الشروق

الطبعة الأولى

١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

القاهرة : ١٦ شارع جواد حسني - هاتف : ٧٧٤٨١٤ - ٧٧٤٥٧٨
برقيا : شروق - تلكس : 93091 SHROK UN
بيروت : ص.ب : ٨٠٦٤ هاتف : ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٢١٣
برقيا : داشروق - تلكس : SHOROK 20175 LE

مقدمة

الحديث عن الأخلاق فى هذا العصر حديث ممض يشق على النفس ، ذلك أن كثيرا من مشكلاتنا الاجتماعية الراهنة تعود فى النهاية بعد تحليلها إلى الأزمة الأخلاقية التى يعانيها عالمنا المعاصر الذى تسود فيه أخلاق الأثرة والأنانية وحب الذات والجرى وراء المادة والمكاسب بأية طريقة أو وسيلة مشروعة كانت أو غير مشروعة . وهذا الشعور بالأزمة الخلقية شعور حاد عميق لدى الجميع ، فقد سيطرت علينا مجموعة من القيم الطارئة غزتنا فى عقر دارنا ، وتكاد أن تقتلعنا من جذورنا ، الإحساس بروح الأثرة والفردية وعبادة الذات ، وصدارة القيمة الاقتصادية على كل القيم وتفشى الطمع والجشع والشره ، وانتشار الحقد والحسد والكراهية بين الناس ، وانتزاع عاطفة الرحمة والشفقة من القلوب ، وفقدان قيمة العمل ، وقيمة النظام وقيمة النظافة ، كل هذه الظواهر سادت مجتمعنا فى ظرف جيل واحد من الزمان ، لقد تغير كل شئ ، وأصبحنا نسمى الأشياء بغير أسمائها الحقيقية ، وأصبحت الفضائل عملة نادرة أثرية ، مكانها المتاحف ودور الآثار ، وليس الواقع المعاش ، وأصبح إنسان هذا



العصر – كما يقول الدكتور أحمد عكاشة أستاذ الطب النفسى – يخوض صراعا شرسا من أجل المادة تتحطم خلاله علاقات إنسانية ، وتغيب قيم جمالية ، وتهدد مثاليات ، وعندما يتضح له فى النهاية أن هذا الصراع لن يؤدى به إلى تحقيق ذاته تكون الوحدة قد حاصرته ، والاكتئاب تسلل إلى أعماقه ، والرغبة فى الانتحار بدأت تراوده »

وإذن فهو لم يحقق السعادة لنفسه ولا لمجتمعه ، بل أشقى نفسه وأشقى الآخرين معه ، وماذا حققت المجتمعات التى نصفها بالرقى والحضارة والمدنية لأهلها غير زخرف ظاهر من الحياة الدنيا ، وقوة عاتية مدمرة تستخدم للتدمير والإهلاك وتحقيق المطامع الذاتية ؟

إنهم هناك فقدوا طمأنينة النفس وهدوء البال وراحة الضمير ، لايذوقون النوم إلا غرارا بعد تعاطى حبوب « الهلوسة » أو أقراص السعادة أو الهوروين والكوكائين ، وعجزت قوانينهم الوضعية أن تحقق الحد الأدنى من الطمأنينة على النفس والعرض والمال ، وتأمل ماحدث عند انقطاع التيار الكهربائى عن مدينة نيويورك لعدة ساعات قليلة ، لقد حدثت أحداث مروعة من حوادث السلب والنهب ، وهتك الأعراض ، ألفت فيها الكتب والأبحاث ، ولم يتوصلوا بدقة إلى الأسباب العلمية التى أدت إلى هذه الموجة العاتية المتفجرة التى وقعت خلال ساعات بصورة ليس لها مثيل ، على أن معدلات الجريمة عندهم فى أزدياد واضطراد ، إنهم لايريدون أن

يعرفوا السبب الحقيقى ، لأنهم يعزلون الدين عن واقع حركة الحياة .

هذا هو واقع الحال فى المجتمعات التى يدعو كتابنا « الأحرار » أن نحذوا جذوها فى كل صغيرة وكبيرة فى حياتنا ، وكأن التطور والتقدم منوط بهذا التقليد والاحتذاء ، ومن أجل هذا يعمد بعضهم إلى « غمز » الدين والأخلاق ، وكأن الدين والأخلاق هما سبب تأخرنا وأنحطاطنا .

ولن نملّ هنا من أن نردد أبيات شاعرنا العظيم شوقى رحمه الله حيث يقول :

وإذا أصيب القوم فى أخلاقهم
فأقم عليهم مأتما وعويلا
وليس بعامر بنيان قوم إذا أخلاقهم كانت خرابا

ويقول :

وإنما الأمم الأخلاق مابقيت
فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ونردد قبل كل شئ قول الله تبارك وتعالى : « إن الله لايغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له ، وما لهم من دونه من وال » .

هذا ، وقد تطورت الجرائم الخلقية فى عصرنا هذا تطورا مفجعا ، وفى كل يوم تمطرنا وسائل الإعلام عن جرائم الاعتداء على

الآباء والأمهات وخطف الإناث والاعتداء عليهن ، واختلاس المال العام ، والاحتكار والغلاء المصطنع ، وشيوع المخدرات والهيرويين والكوكائين ، والتطلعات المادية الجامحة ، وانزواء القيم الروحية وتراجعها أمام زحف حضارى زائف لن نجنى منه إلا أوخم العواقب والثمرات ، ولاعلاج ولادواء إلا بالرجوع إلى الدين وقيم الدين ، وأخلاق الدين ، والله سبحانه وتعالى يهدينا إلى سواء السبيل .

مفاهيم

يقول الإمام الغزالى رضى الله عنه :

الخَلْق والخُلُق عبارتان مستعملتان معا ، يقال فلان حسن الخلق والخلق ، أى حسن الظاهر والباطن ، فيراد بالخَلْق الصورة الظاهرة ، ويراد بالخُلُق الصورة الباطنة ، وذلك لأن الإنسان مركب من جسد مدرك بالبصر ، ومن روح ونفس مدركة بالبصيرة ، ولكل واحد منهما هيئة وصورة إما قبيحة وإما جميلة ، فالنفس المدركة بالبصيرة أعظم قدرا من الجسد المدرك بالبصر ، ولذلك عظم الله قدره بإضافته إليه ، إذ قال تعالى : « إنى خالق بشرا من طين . فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين » فنبه إلى أن الجسد منسوب إلى الطين ، والروح إلى رب العالمين ، والمراد بالروح والنفس فى هذا المقام واحد .

فالخُلُق عبارة عن هيئة فى النفس راسخة ، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية ، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا ، سميت تلك الهيئة

خلقا حسنا ، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التى هى المصدر خلقا سيئا .

وإنما قلنا إنها هيئة راسخة لأن من يصدر عنه بذل المال على الندور لحاجة عارضة لايقال : خلقه السخاء مالم يثبت ذلك فى نفسه ثبوت رسوخ ، وإنما اشترطنا أن تصدر منه الأفعال بسهولة من غير روية ، لأن من تكلف بذل المال أو السكوت عند الغضب بجهد وروية لايقال خلقه السخاء أو الحلم » .

وإذا كان المعنى اللغوى للخُلُق هو السجية والطبع فقد غلب استعماله بمعنى المروءة والدين ، ولهذا يضع القرآن الكريم له وصفا أو إضافة ، أما الإضافة فقد وردت فى قوله تعالى « إنْ هذا إلا خلق الأولين » يعنى دينهم وماهم عليه من الأمر فى تقليدهم للآباء والأجداد وتبعيتهم لهم فى سلوكهم وعيشهم ، وجاء موصوفا فى قوله تعالى يمدح نبيه – صلى الله عليه وسلم – : « وإنك لعلى خلق عظيم » فُسّر الخلق بالدين العظيم وهو الإسلام ، كما فسر بالأدب العظيم ، وقد سئلت السيدة عائشة رضى الله عنها عن خلق رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقالت : كان خلقه القرآن . ومعنى هذا كما يقول ابن كثير – رحمه الله – أنه عليه الصلاة والسلام صار امتثال القرآن أمرا ونهيا سجية له وخلقا تطبَّعه وترك طبعه الجبلِّى ، فمها أمره القرآن فعله ، ومهما نهاه عنه تركه ، هذا مع ماجبله الله عليه من الخلق

العظيم ، من الحياء والكرم والشجاعة والصفح والحلم وكل خلق جميل . ومن هذا يتبين لنا أن الخلق أو الطبع فطرة فطر عليها الإنسان ، وأن التخلق والتطبع هو الخلق المكتسب برياضة النفس وأخذها بالسلوك الأخلاقى .

وزعم بعض الفلاسفة أن الأخلاق لارتكازها على الغرائز لايمكن تغييرها ، وقالوا إن الخُلُق هو الصورة الباطنة للخَلْق ، وكما أن الطويل لايمكن أن يجعل نفسه قصيرا ، ولا القصير أن يجعل نفسه طويلا ، ولاقبيح الشكل أن يجعل خلقته جميلة ، فكذلك الأخلاق الرديئة لايمكن تغييرها وهؤلاء هم الجبريون الذين يقولون بالجبرية الحتمية ، ويعبر عنهم الشاعر العباسى بشار بن برد :

طبعت على مافىَّ غير مخيَّر
هواى ولو خُيرت كنت المهذَّبا
أريد فلا أُعطى ، وأعطى ولم أرد
وقصّر علمى أن أنال المغيَّبا
فأصرف عن قصدى وعلمى مقصر
وأمسى وما أعقبت إلا التعجبا

وهذا مجرد مغالطة وسفسطة من بشار ، وليس إلا تبريرا يبرر به فساد خلقه ، وعكوفه على الشهوات واللذات ، فهو يزعم أنه مجبر على سوء خلقه ، لأنه يرى فى الكون أشياء يقصر عن فهمها عقله ،

فادعى هذه الدعوى ليسقط عن نفسه اللوم وتحمل المسئولية ، وهذه شنشنة معروفة فى ملاحدة الأمس وملاحدة اليوم الذين ينكرون الألوهية والدين ليقفزوا بعد ذلك إلى فعل ماتشتهى نفوسهم واستباحة المنكرات والقبائح ، مادام الأمر أنه ليس هناك إله ولادين ولا إيمان ولاخير ولاشر ولابعث ولاحساب ، ولاعقاب ولاجزاء . وصدق الله العظيم حيث يقول : « وكان الإنسان أكبر شئ جدلا » .

ولو كان الأمر على مايذهب إليه أصحاب هذه المذاهب الجبرية لبطلت الديانات والرسالات ، ولألغينا حكم الحكماء ، ولألغينا التربية ، ولأصبح الإنسان الذى كرمه الله وفضله على كثير من خلقه ، ومنحه العقل يميز به بين النافع والضار ، والحسن والقبيح ، والخير والشر ، فى منزلة أحط من منزلة الحيوان .

نعم ، الغرائز لايمكن تغييرها ، هذا صحيح ، ولكن يمكن تعديلها وتغيير مسارها ، وتقليم أظفارها الشرسة الحادة ، ونحن لاننكر أن غريزة حب الذات ، وغريزة حفظ النوع ـ أو غريزة الجنس ـ هما الغريزتان اللتان تسيطران على سلوك الإنسان وتصرفاته ، ولكن إطلاق العنان لهما مخرب ومدمر للبشرية ، وإذا كانت الغريزتان تعملان عند الحيوان بصورة طبيعية فطرية ، فيقتصر منهما على إشباع حاجته ، فإن بعض بنى الإنسان يخرج عن مقتضى الفطرة إلى درجة الإسراف والغلو وارتكاب المظالم وإلحاق الضرر والأذى بالآخرين ،

ولابد هنا من رادع يردع ، ويرد الجموح إلى القصد والاعتدال .

وجبلة الإنسان وفطرته مهيأة ومستعدة لتلقى الخير والشر ، وهنا يأتى دور التكليف ومناطه ، ويأتى جهد الإنسان فى تزكية نفسه وتطهيرها ، وهذا مايشير إليه قول الحق سبحانه وتعالى : « ونفس وماسواها . فألهمها فجورها وتقواها . قد أفلح من زكاها . وقد خاب من دساها » فالنفس الإنسانية قابلة للهدى والضلال ، والصلاح والفساد ، هكذا صاغها الله وسواها ، فالسعيد من ارتقى بها عن أسر المادة وشوائب الأرض ، والشقى من غطاها وأخفاها بظلام المادة وكثافتها ، وهذا أيضا مايشير إليه النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى قوله : « كل الناس يغدو ، فباتع نفسه فموبقها أو معتقها » فالأخلاق لاتقضى على الغرائز ، ولاتستطيع القضاء عليها ، لأن الغرائز هى محور النشاط ، وقد أوجدها الله فينا لتؤدى وظائفها ، فلو قضينا على غريزة البحث عن الطعام لهلك الكائن الحى ، ولو قضينا على غريزة الجنس لانقرض النوع من الوجود ، يقول عالم النفس الأمريكى مكدوجل :

« إن كل نزعة من هذه النزعات الفطرية ينبوع من الطاقة ، أما أن هذه الطاقة ستتجه إلى الخير أم إلى الشر فأمر يتعلق بتوجيهها إلى غاية نبيلة أو وضيعة ، كما يتعلق بالتحكم الرشيد فى هذا التوجيه » .

ويقول مكدوجل أيضا : « إن كل النزعات الفطرية قديرة على

فعل الخير والشر ، ولقد يكون هناك استثناء واحد فى نزعة مفردة يبدو أن كلها خير حتى مايمكن أن تظهر فينا فى عنف شديد ، وقلما تحتاج إلى ضبط بواعثها ، تلك هى نزعة الحنان أو الرحمة والحماية التى وظيفتها الأساسية هى العناية بالطفل ، ثم امتدت فوسعت كل المخلوقات الضعيفة أو المعذبة ، وكل شئ رقيق عزيز علينا ، وهى تلطف غضبنا ، وتخفف آلامنا ، وتشفى جراحنا ، وترقق أخلاقنا »

إن الإنسان نفخة من روح الله ، ولم يخلقه الله فى هذه الحياة عبثا ، وما دامت فطرته مهيأة لإرادة الخير وإرادة الشر ، فإن الدين الذى أنزله الله يضع بين يديه المبادئ الأخلاقية التى تبعده عن الشر وتهديه إلى الخير. يقول الله سبحانه وتعالى :

ألم نجعل له عينين. ولسانا وشفتين. وهديناه النجدين » والنجدان هما نجد الخير ، ونجد الشر ، يعنى طريقهما .

وكان من رحمة الله بالناس ألا يتركهم لفطرهم التى قد تنحرف ، ولا لعقولهم التى قد تزيغ ، فأرسل الرسل مبشرين ومنذرين ، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، وليرسموا لنا المنهاج السوى فى العقيدة والشريعة والأخلاق والآداب ، فالعقل ـ كما يقول الإمام الغزالى ـ لايهتدى إلا بالشرع ، والشرع لم يتبين إلا بالعقل ، فالعقل كالأساس والشرع كالبناء ، ولن يغنى أساس مالم يكن بناء ، ولن يثبت بناء مالم يكن أساس « .

والفلاسفة والمفكرون الذين اعتمدوا على العقل وحده ضلوا واعتورهم النقص والكلال ، وانظر إلى مايقوله السوفسطائيون من أن الإنسان مقياس نفسه ، لأنه يستمد معلوماته بحواسه هو ، وليس بحواس غيره ، وإذن فمعرفته هو غير معرفة غيره ، ويترتب على هذا أن ما هو خير عند إنسان قد يكون شرا عند آخر ، وعلى هذا فلا خير ، ولاشر ، ولاحق ، ولا باطل ، ولا عدل ولا ظلم ، ولا حسن ولاقبيح !

ومنهم من اشتط وغلا حتى عدَّ الفضائل رذائل ، وجعل الرذائل فضائل ، وهم أصحاب الفلسفة الملحدة التى لا علاقة لها بالأخلاق ، ونهيل التراب على هذه الفلسفة اللا أخلاقية التى تمجد القوة ، وتعد الرحمة والفضائل خورا فى الطبيعة وعجزا وضعفا ، ولنردد مع بسكال قوله : « إن البلاغة الحقة تسخر من علم البلاغة ، كما أن الأخلاق الصحيحة تسخر من علم الأخلاق » .

يقول الفيلسوف الألمانى كانت : « إذا أردت أن تعرف حسن الشيم من قبيح الصفات فانظر بعقلك : ماذا سينجم ياترى من تعميم صفة من الصفات لو عممت ؟؟ فإذا كانت ستتمخض حتما عن خلل فى الوجود والعلائق الإنسانية فاعلم أن القبح شيمتها » .

إن الدين هو « البوصلة » التى لايمكن أن يستغنى عنها ربان السفينة مهما أوتى من الفطنة والذكاء ، والدين يتحدث إلى الناس

جميعا وفضائل الأمور ورذائلها معروفة لمعظم الناس ، ولهذا تجد من يقترف ذنبا أو يرتكب إثما يحاول أن يخفيه ويداريه أو يغطيه بسفسطة أو زخرف من القول وزور .

والمشكلة ليست فى المعرفة ، ولكن المشكلة فى التطبيق والسلوك ، والجانب العملى أو السلوك هو الجانب الذى يهتم به الدين ، وحينما سئل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن البر قال : « البر ما اطمأنت إليه النفس ، واطمأن عليه القلب ، والإثم ماحاك فى النفس وتردد فى الصدر » وقال : « التقوى هاهنا » وأشار إلى صدره ، وقال : « استفت قلبك ، وإن أفتاك الناس وأفتوك » ولن يستفت القلب فى أمر معروف حكمه من الدين ، ولكن الاستفتاء يأتى فيما يشكل من الأمور ، وسلوك الإنسان وتصرفاته الظاهرة تدل على أحوال قلبه وأخلاقه الباطنة . فالخلق متعلق بالفطرة والسجية ، والسلوك ترجمة عملية لهذا الخلق تظهر فى الأقوال والأفعال والتصرفات .

الأخلاق فى التوراة

نزلت التوراة على سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام ، وكانت رسالته موجهة إلى قومه بنى إسرائيل ، وإلى فرعون ملك مصر الذى تربى سيدنا موسى فى بيته وفى حجره حينما التقطته امرأة فرعون من نهر النيل ، وكان الله سبحانه وتعالى قد أوحى إلى أم موسى بهذا لينجو الطفل موسى من القتل الذى كان استحر فى ذكور بنى إسرائيل بأمر فرعون .

وحينما كبر موسى استطاع أن يقود بنى إسرائيل ، وأن يخرجوا ليلا من مصر فرارا من اضطهاد فرعون ، وفى طور سيناء كلم الله تعالى موسى ، وأنزل عليه التوراة فيها هدى ونور ، ويخبرنا القرآن الكريم أن التوراة قد حرفت وبدلت ، وقد أثبتت الدراسات التاريخية واللغوية التى قام بها العلماء المتخصصون فى أوربا أن التوراة الحالية كتبت فى عهود مختلفة ، والمسلم الذى يقرأ التوراة اليوم يرى فيها مظهرين كبيرين من مظاهر التغيير والتبديل والتحريف .

المظهر الأول اضطراب فكرة الألوهية لدى اليهود فى عقولهم ، فالتوراة التى بأيدينا تصور ذات الله ـ سبحانه وتعالى ـ فى صورة

محسَّة مجسمة ، ومن غير المتصور ومن غير المعقول أن ينزل هذا على نبى مرسل ، وأن يكون قد صدر عن الله ، ثم إنها تنسب إلى الله ـ سبحانه ـ كثيرا من الصفات التى يتنزه عنها بعض البشر ، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا .

والمظهر الثانى أن التوراة تنسب إلى الأنبياء أيضا جملة من القبائح ينفر منها البشر العاديون ، فما بالك بصفوة خلق الله المختارين لأداء رسالاته والتبليغ عنه .

وانظر ماقيل بحق خليل الرحمن سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، يقول سفر التكوين فى إصحاحه الثانى عشر يصف دخول سيدنا إبراهيم أرض مصر بأمرأته سارة :

« وحدث جوع فى الأرض ، فانحدر إبرام (= إبراهيم) إلى مصر ، ليتغرب هناك ، لأن الجوع فى الأرض كان شديدا ، وحدث لما قرب أن يدخل مصر أنه قال لساراى (= سارة) امرأته : إنى قد علمت أنك امرأة حسنة المنظر ، فيكون إذا رآك المصريون أنهم يقولون : هذه امرأته ، فيقتلوننى ويستبقونك ، قولى إنك أختى ، ليكون لى خير بسببك ، وتحيا نفسى من أجلك . فحدث لما دخل إبرام إلى مصر أن المصريين رأوا المرأة أنها حسنة جدا ، ورآها رؤساء فرعون ، ومدحوها لدى فرعون ، فأخذت المرأة إلى بيت فرعون ، فصنع إلى إبرام خيرا بسببها ، وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد وإماء وأتن وجمال » .

وهذا الكلام لايحتاج إلى تعليق ، فهل يعقل أن خليل الله يكذب ، ويحرض امرأته على الكذب ، بل ويدفع بها إلى مهاوى الفسوق ومضاجع الزنا ؟ كلا ، والله إن يقولون إلا كذبا .

ثم اقرأ أيضا فى هذا السفر فى إصحاحه التاسع عشر عن نبى الله لوط ماتتقزز له نفس أى إنسان ، فقد رموه ـ عليه السلام ـ بالزنا .. وبمن ؟ بابنتيه !

وإليك نص كلامهم :

« وصعد لوط من صوغر ، وسكن فى الجبل وابنتاه معه ، لأنه خاف أن يسكن فى صوغر ، فسكن فى المغارة هو وابنتاه . وقالت البكر للصغيرة : أبونا قد شاخ ، وليس فى الأرض رجل ليدخل علينا ، كعادة كل الأرض ، هلم نسق أبانا خمرا ونضطجع معه ، فنحيي من أبينا نسلا ، فسقتا أباهما خمرا فى تلك الليلة ، ودخلت البكر ، واضطجعت مع أبيها ، ولم يعلم باضطجاعها ولابقيامها .

وحدث فى الغد أن البكر قالت للصغيرة : إنى قد اضطجعت البارحة مع أبى ، نسقيه خمرا الليلة أيضا ، فادخلى اضطجعى معه ، فنحيي من أبينا نسلا ، فسقتا أباهما خمرا فى تلك الليلة أيضا ، وقامت الصغيرة واضطجعت معه ، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها ، فحبلت ابنتا لوط من أبيهما » .

وهذا داود ـ عليه السلام ـ يصورونه زئر نساء ، لايتورع أن يزجّ

بقائده « أوريا » فى حملة حربية إلى بلد بعيد ، ليخلوا له الجو مع زوجة القائد الجميلة .

إنها صور شائهة كريهة يصورون بها أنبياء الله الذين عصمهم الله من الوقوع فى مواقع الإثم والعصيان . ولاندرى كيف ساغ لليهود أن يصوروا أنبياءهم على هذه الصور البغيضة ؟ إنها جزء من الكيد الذى أوقعوه بهم ، وطرف من الأكاذيب التى ألصقوها بهم .

ولانعجب أن يسلك اليهود هذا المسلك ، ويصنعوا هذا الصنيع ، فهم قتلة الأنبياء ، والخراف الضالة الذين آذوا الأنبياء وافتروا عليهم الأكاذيب والمفتريات ، وحتى نبيهم موسى عليه الصلاة والسلام لم يسلم من أذاهم وكيدهم ، فأشاعوا عنه أنه « آدر » أى منتفخ الخصية ، فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها .

والتوراة تصف اليهود بأنهم شعب صلب الرقبة ، والقرآن الكريم يصفهم بقساوة القلب وعدم الرحمة «فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه » وبلغ من قساوة قلوبهم أنهم قتلوا فى يوم واحد سبعين نبيا من أنبيائهم ثم قاموا إلى السوق فى آخر النهار يباشرون تجاراتهم وشئونهم اليومية المعتادة .

وهم الذين حرضوا على قتل يحيى بن زكريا عليهما الصلاة والسلام ، أما موقفهم من السيد المسيح عليه السلام الذى أرسله الله إليهم ليصحح ما أفسدوه من شريعة التوراة فقد قابلوا رسالته بالهزء والسخرية ورموا أمه الطاهرة البتول العذراء بالزنا ، وكذبوا به ،

لأنهم كانوا ينتظرون مسيحا آخر يفتح لهم كنوز الأرض ، ويعيد إليهم ملكهم الذى ذهب ، فلما أخبرهم عيسى عليه السلام بأنه جاء ليفتح لهم كنوز السماء ، ويعدهم بمملكة أخرى ليست فى هذا العالم سخروا منه وزهدوا فيه ، ومن أين لهم أن يدركوا مملكة الروح وملكوت السموات ؟!

وقبائل اليهود التى كانت تسكن يثرب (المدينة) ناصبت نبى الإسلام العداوة والحسد والبغضاء ، وخاسوا بعهده ، وألبوا عليه المشركين حسدا وبغيا من عند أنفسهم ، مع أنهم كانوا يعرفونه كما يعرفون أبناءهم .

ويسجل القرآن الكريم على بنى إسرائيل فساد أخلاقهم وانحرافهم فى كثير من المواضع ، يقول القرآن الكريم « لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه لبئس ماكانوا يفعلون » .

وأقل شىء فى نظرهم أنهم يأكلون السحت والربا ، ويحتالون بالحيل الدنيئة الخبيثة الخسيسة لتحقيق مآربهم المادية الوضيعة .

وهاهم يسجلون على أنفسهم فى توراتهم أنهم لصوص سَرَقَة ، يقول سفر الخروج زاعما أنه يتحدث عن الله .

« ولكنى أعلم أن ملك مصر يدعكم تمضون ولا بيد قوية ، فأمدّ يدى وأضرب مصر بكل عجائبى التى أصنع فيها ، وبعد ذلك

يطلقكم ، وأعطى نعمة لهذا الشعب فى عيون المصريين ، فيكون حينما تمضون أنتم لاتمضون فارغين ، بل تطلب كل امرأة من جارتها ، ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثيابا ، وتضعونها على بنيكم وبناتكم لتسلبوا المصريين » .

وهذا صك اعتراف لايستطيعون له إنكارا أو جحودا ، والعجيب أنهم ينسبون إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ أنه هو الذى أمرهم بهذا السلب والنهب ، ولاعجب فهم كما قال الله فيهم « ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون » .

أما عن عنصريتهم البغيضة وتفرقتهم بين أبناء آدم ، فحدث عنه ولاحرج ، فهم يزعمون أنهم أبناء الله وأحباؤه ، « قل فلم يعذبكم بذنوبكم ، بل أنتم بشر ممن خلق » .

ولأنهم ماديون حسيون طلبوا من موسى عليه السلام أن يريهم الله جهرة ، وانتهزوا فرصة غيابه ، وكان قد ذهب لميقات ربه ، فصنعوا عجلا من ذهب واتخذوه إلها يعبدونه !

ولقد نعى عليهم المسيح عليه السلام أنهم حولوا بيت الله إلى سوق يبيعون فيه الحمام واليمام ، وانتهكوا حرمة المعبد ، مما اضطر المسيح أن يقلب على التجار والصيارفة موائدهم ، وأن يزجرهم هذا الزجر العنيف « مكتوب بيتى بيت الصلاة يدعى ، وأنتم جعلتموه مغارة لصوص » .

وكان الفريسيون وهم أكبر فرقهم الدينية من ألدّ أعداء المسيح عليه السلام ، ومن مقولاتهم الفاسدة أن الصالحين من الأموات سيبعثون فى هذه الحياة الدنيا ، ويشاركون فى ملك « المسيح » الذى ينتظرونه .

والصدوقيون منهم لايؤمنون بالبعث ولا باليوم الآخر ومافيه من حساب وجزاء وثواب وعقاب وجنة ونار ، ويذكر ابن حزم فى كتابه « الفِصَل فى الملل والأهواء والنحل » أن هذه الفرقة كانت تقول : عزير ابن الله .

وعبث القوم بوصايا موسى فبدلوا فيها وحرفوا ، ورغم هذا التحريف فقد اشتملت على أهم دعائم الأخلاق التى لايعيش مجتمع ولا يبقى بدونها ، تقول الوصايا التى ذكرها سفر الخروج فى الإصحاح العشرين :

ثم تكلم الله بهذه الكلمات قائلا :

أنا الرب إلهك الذى أخرجك من أرض مصر ، من بيت العبودية ، لايكن لك آلهة أخرى أمامى .

لاتصنع لك تمثالا منحوتا ولاصورة ما مما فى السماء من فوق ، وما فى الأرض من تحت ، ومافى الماء من تحت الأرض ، لاتسجد لهن ولاتعبدهن ، لأنى أنا الرب إلهك ، إله غيور ، أفتقد ذنوب

الآباء فى الأبناء فى الجيل الثالث والرابع من مبغضىّ ، وأصنع إحسانا إلى ألوف من محبِّىَّ وحافظى وصاياى .

لاتنطق باسم الرب إلهك ، لأن الرب لايبرئ من نطق باسمه باطلا . اذكر يوم السبت لتقدسه ، ستة أيام تعمل وتصنع جميع عملك ، وأما اليوم السابع ففيه سبت للرب إلهك ، لاتصنع عملا ما أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك وبهيمتك ونزيلك الذى داخل أبوابك ، لأن فى ستة أيام صنع الرب السماء والأرض والبحر وكل مافيها ، واستراح فى اليوم السابع !! لذلك بارك الرب يوم السبت وقدسه !!

أكرم أباك وأمك لكى تطول أيامك على الأرض التى يعطيك الرب إلهك .

لاتقتل .

لاتزن .

لاتسرق .

ولاتشهد على قريبك شهادة زور ، لاتشته بيت قريبك ، لا تشته امرأة قريبك ولاعبده ولا أمته ولاثوره ولاحماره ، ولاشيئا مما لقريبك » .

وعلى الرغم مما نلحظه فى هذه الوصايا العشر من سمات التحريف

والعنصرية إلا أننا نلحظ أنها تضع أساس مجتمع دينى يقوم على عدم الشرك بالله ، وقد حرّمت الوصية الثانية صنع التماثيل والصور والسجود لها ، وتنطق الوصية الثالثة بما يجب أن يكون عليه المؤمن من صيانة اسم الله ، فلا ينطق باسمه تعالى باطلا ولايحلف به كاذبا ، وقدّست الوصية الرابعة فى زعمهم يوم السبت الذى اشتق من السبوت أى السكون وعدم الحركة .

وقدست الوصية الخامسة الأسرة ودعامتها الأم والأب ، والإحسان إليهما واجب دينى أخلاقى ، وإكرامها فرض فى كل ملة ودين .

وحرمت الوصايا السادسة والسابعة والثامنة القتل والزنا والسرقة ، فمن شأن هذه الجرائم الثلاثة أن تقوّض بنيان كل مجتمع لايحترم حرمة الدماء والأعراض والأموال .

وحضت الوصية التاسعة على الصدق فى القول وحفظ الأمانة ، ونهت الوصية العاشرة عن التطلع إلى مافى أيدى الناس ، وإن كان اليهود قد خصوا أنفسهم بأنهم الناس ، وباقى البشر أميون وأجانب لا تدركهم ـ فى زعمهم ـ رحمة الله !

وقد لاحظ ول ديورانت صاحب كتاب قصة الحضارة أن أفضل الوصايا كلها لم تكن بين هذه الوصايا العشر ، وإن كانت جزءا من الشريعة الموسوية ، ويقصد بذلك ماورد فى الآية الثامنة عشرة من

الإصحاح التاسع عشر من سفر اللاويين ، فقد جاءت هذه الآية تائهة بين طائفة من القوانين المتكررة المختلفة الأنواع ، ولايزيد نصها عن هذه الجملة القصيرة :

« وتحب قريبك كنفسك » .

ومن الوصايا التى ذكرتها التوراة ولايعمل بها اليهود :

لاتقبل خبرا كاذبا ، ولاتضع يدك مع المنافق لتكون شاهد ظلم . لاتتبع الكثيرين إلى فعل الشر ، ولاتجب فى دعوى مائلا وراء الكثيرين للتحريف .

ابتعد عن كلام الكذب ، ولاتقتل البرئ والبار ، لأنى لا أبرر المذنب .

ولا تأخذ رشوة ، لأن الرشوة تعمى المبصرين وتعوج كلام الأبرار » .

أما جزاء العمل بهذه الوصايا فيقول سفر اللاويين فى إصحاحه السادس والعشرين .

« إذا سلكتم فى فرائضى وحفظتم وصاياى وعملتم بها ، أعطى مطركم فى حينه ، وتعطى الأرض غلتها ، وتعطى أشجار الحقل أثمارها ، ويلحق دراسكم بالقطاف ، ويلحق القطاف بالزرع ، فتأكلون خبزكم للشبع ، وتسكنون فى أرضكم آمنين ، وأجعل سلاما

فى الأرض فتنامون وليس من يزعجكم ، وأبيد الوحوش الرديئة من الأرض ، ولايعبر سيف فى أرضكم ، وتطردون أعداءكم فيسقطون أمامكم بالسيف » .

وهكذا لابد أن يتقاضى اليهود ثمن العمل الصالح عاجلا ، جزاء دنيوى صرف شأن من لايؤمنون باليوم الآخر ومافيه ، مع أن القرآن الكريم يثبت أن القوم كانوا على أيام موسى يعرفون اليوم الآخر ومافيه « واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الآخرة إنا هدنا إليك » .

ومن أجل هذا يطلق على بنى إسرائيل لفظ اليهود ، وهى كلمة مشتقة من هاد الرجل أى تاب ورجع ، وإنما سموا بذلك لقول موسى عليه السلام فى مناجاته لربه « إنا هدنا إليك » أى تبنا ورجعنا .

وتتحدث توراة اليهود عن العدل والقصاص ، ولانجد فيها ذكرا لمبدأ التسامح والعفو ، حتى لقد عرفت الشريعة اليهودية بأنها شريعة القصاص ، ولكن القرآن الكريم وهو المهيمن على الكتب السماوية والضابط لماجاء فيها يشير إلى أن مبدأ العفو والتسامح جزء من توراة موسى إلى جانب مبدأ العدل والقصاص ، وتأمل مايذكره القرآن الكريم عن التوراة :

« وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس ، والعين بالعين ، والأنف بالأنف ، والأذن بالأذن ، والسن بالسن ، والجروح قصاص ، فمن

تصدق به فهو كفارة له ، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون » .

فالضمير فى قول الله سبحانه وتعالى « وكتبنا عليهم فيها » يعود على التوراة ، ويعود الضمير فى قوله « فمن تصدق به » إلى القصاص ، فالآية تجمع بين القصاص والعفو ، فالآية الكريمة تشير إلى أن المعتدى عليه إذا تصدق بالعفو عن المعتدى ، فإن هذا التصدق يعتبر كفارة له ، أى أن الله سبحانه وتعالى يضع عنه من سيئاته بمقدار ماتصدق به .

أين ذهب اليهود بمبدأ العفو؟ إنهم ضيعوه ، كما ضيعوا مبدأ العدل والقصاص ، فحولوه إلى شريعة ثأر وانتقام ، ومايصنعه أحفادهم اليوم بالفلسطينيين والعرب فى لبنان جرائم جديدة منكرة مضافة إلى الجرائم التى ارتكبها أسلافهم بالأمم والشعوب .

الأخلاق فى الانجيل

أرسل الله سبحانه وتعالى سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام إلى بنى إسرائيل ليقوم اعوجاجهم ، ويصحح مفاهيمهم الخاطئة ، ويردّ إلى شريعة التوراة صفاءها ونقاءها ، وأيده بمعجزات قاهرة باهرة ، ولكن لم يؤمن برسالته سوى نفر قليل ، وناصبه معظم اليهود العداء .

ومن بين هذه المعجزات أنه كلم الناس فى المهد ، ونطق ببراءة أمه العذراء البتول التى أنجبته بأمر الله دون أن يمسسها بشر ، كما قال الله تبارك وتعالى فى سورة مريم : « فأتت به قومها تحمله قالوا يامريم لقد جئت شيئا فريا . يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا . فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا . قال إنى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا . وجعلنى مباركا أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حيا » .

ولقد شكلت قصة مولد السيد المسيح العجيبة دون أب شبهة لدى أتباعه من بعده فقيلت فيه مقولات كثيرة تدل على الحيرة والاضطراب ، وهى على كل حال خارجة عن حدود بحثنا الذى

نتناوله الآن ، ولكن موقف الإسلام مما قيل فيه وفى مولده واضح تلخصه الآية الكريمة : « إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ، ثم قال له كن فيكون » .

أما القول بغير هذا فهو غلو وشطط « يا أهل الكتاب لاتغلوا فى دينكم ولاتقولوا على الله إلا الحق » ودين الله واحد لايتغير، وكانت دعوة كل نبى إلى قومه « ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره » ويقول الحق سبحانه وتعالى « شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى أوحينا إليك » وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » نعم ، قد تختلف شريعة عن شريعة بالنظر إلى زمانها الموقوت ومكانها المحدود ، ولكن الدين حقيقته واحدة ، وآخرها الدين الخاتم الذى ختمت به الأديان ، وكان دينا عاما شاملا للناس فى كل زمان ومكان .

يقول الشهرستانى فى كتابه الملل والنحل :

« والإنجيل النازل على المسيح عليه السلام لايتضمن أحكاما ، ولا يستبطن حلالا ولاحراما ، ولكنه رموز وأمثال ، ومواعظ ومزاجر ، وماسواها من الشرائع والأحكام فمحالة على التوراة فكانت اليهود لهذه القضية لم ينقادوا لعيسى بن مريم عليه السلام ، وادعوا عليه أنه كان مأمورا بمتابعة موسى عليه السلام وموافقة التوراة فغيّر وبدّل ، وعدّوا عليه تلك التغييرات ، منها تغيير السبت إلى الأحد ،

ومنها تغيير أكل لحم الخنزير ، وكان محرما فى التوراة ، ومنها الختان والغسل وغير ذلك ، والمسلمون قد بينوا أن الأمتين قد بدلوا وحرفوا ، وإلا فعيسى عليه السلام كان مقررا لما جاء به موسى عليه السلام ، وكلاهما مبشران بمقدم نبينا محمد نبى الرحمة صلوات الله عليهم أجمعين » . وبعيدا عن مسائل الخلاف فإن جوهر المسيحية ـ كما ترسمها الأناجيل الأربعة المعتمدة ـ هى الرسالة الأخلاقية الروحية ، وكلمة انجيل كلمة يونانية معناها البشارة ، والأناجيل التى كتبت بعد المسيح أناجيل كثيرة حرم المسيحيون أكثرها ، واعتمدوا منها أربعة فقط يسميها المسيحيون إلى جانب الرسائل التى ضمت إليها بكتب العهد الجديد ، تمييزا لها عن كتب العهد القديم مثل التوراة بأسفارها الخمسة ، وسفر يشوع ، وسفر القضاة ،.. الخ وانجيل متى هو أول هذه الأناجيل ، ويعزى إلى متى الرسول ، قيل إنه كتب فى الثلث الثانى من القرن الأول للمسيح قبل السنة السبعين ، ولغته الأصلية الآرامية ، وقد توخى متى فى إنجيله أن يظهر المسيح على صورة المسيح الموعود لبنى إسرائيل .

وانجيل مرقس هو ثانى كتب العهد الجديد ، ويرى كثير من الباحثين أنه الانجيل الأول الذى دون حوالى السنة السبعين ، ويروى حياة المسيح من تعميده إلى آلامه وقيامه .

وانجيل لوقا هو الكتاب الثالث من العهد الجديد ، دُوّن فى

أواخر القرن الأول وهو الانجيل الوحيد الذى يتكلم عن ولادة المسيح ، كما يعرض لصلبه وبعثه ، وفيه نصوص كثيرة لم ترد فى الأناجيل الأخرى ، وكتب هذا الانجيل خاصة للآثينيين باليونانية موضحا رحمة يسوع الشاملة .

أما رابع الأناجيل فهو انجيل يوحنا ، وضعه الرسول يوحنا ، وعنى فيه باللاهوت المسيحى ، وماكتبناه عن هذه الأناجيل ملخص بإيجاز عن كتاب الدكتور عبد الواحد وافى .

وقد قلنا إن جوهر المسيحية هو الأخلاق الروحية ، والآن نستعرض معا طائفة من هذه التعاليم :

يقول انجيل متى على لسان السيد المسيح :

- « قد سمعتم أنه قيل للقدماء : لاتقتل ، ومن قتل يكون مستوجب الحكم ، وأما أنا فأقول لكم : إن كل من يغضب على أخيه باطلا يكون مستوجب الحكم » .

- قد سمعتم أنه قيل للقدماء : لاتزن ، وأما أنا فأقول لكم إن كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها فى قلبه » .

فالسيد المسيح عليه السلام يشير هنا إلى ماورد فى التوراة : لاتقتل ، لا تزن ، لاتسرق » ويقرر مبدأحرمة الدماء والأعراض والأموال التى قررتها الأديان جميعا ، ويزيد على التوراة بالعمل

على سدّ المنافذ التى تؤدى إلى القتل أو الزنا أو السرقة ، فالكلمة النابية يرمى بها الأخ فى وجه أخيه قد تؤدى إلى جريمة القتل ، والنظر إلى امرأة بشهوة قد تفضى إلى ارتكاب الزنى ، لأن النظرة المشتهية تكون مصحوبة بالتمنى والرغبة ، ومن شأن الرغبة أن تفضى إلى تحريك الإرادة ومباشرة الفعل .

ويقول انجيل متى :

- قد سمعتم أنه قيل : عين بعين ، وسنّ بسنّ ، وأما أنا فأقول لكم : لاتقاوموا الشر ، بل من لطمك على خدك الأيمن فحوّل له الآخر أيضا ، ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضا » .

ولقد تقدم أن اليهود حولوا القصاص إلى انتقام وثأر ، وأسقطوا مبدأ التسامح والعفو ، ومن هنا جاءت إشارة السيد المسيح تلفتهم إلى هذا المبدأ السامى الذى تركوه وهجروه ، فرد العدوان بمثله أمر مقرر يتسق مع الطبيعة والفطرة ، ولكن مبدأ التسامح لايستطيع الأخذ به إلا قليل من الناس ممن يتصفون بسمو النفس ، وأشربت قلوبهم بالمحبة ، ولهذا يقول القرآن الكريم فى شأنه « ولاتستوى الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتى هى أحسن ، فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم » .

ولصعوبة هذا على النفس جاءت الآية التالية بعد الآية السابقة

تبين وتوضح ذلك « ومايلقاها إلا الذين صبروا ومايلقاها إلا ذو حظ عظيم » .

وفى هذا المعنى يقول الأنجيل أيضا على لسان السيد المسيح :

ـ سمعتم أنه قيل : تحب قريبك ، وتبغض عدوك ، وأما أنا فأقول لكم : أحبوا أعداءكم ، باركوا لاعنيكم ، أحسنوا إلى مبغضيكم ، وصلوا من أجل الذين يسيئون إليكم » .

فاليهود قصروا دعوة المحبة على القريب أى على اليهود ، أما باقى الأمم فيضعونهم موضع الأعداء ، وهو تعصب ممقوت ، وسلوك غير أخلاقى ، وعنصرية بغيضة ، ومن هذا القبيل أيضا أنهم يحرمون الربا ـ نظريا ـ فيما بينهم ، ويحللونه فى معاملة الغريب من غير جنسهم .

ومبدأ المحبة أو الحب ، محبة الله ، محبة الناس ، محبة الكون ، مبدأ يربط الإنسان بالكون الذى يتجاذب بقانون المحبة ، وكلما خفف الإنسان من أنانيته وانعتق عن ذاته ، وانسجم مع الكون ، كلما قرب من الله وقد جعل نبى الإسلام عليه الصلاة والسلام من المحبة شرطا للإيمان فقال : « لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه » .

ويقول الأنجيل :

ـ الإنسان الصالح من كنز قلبه الصالح يخرج الصلاح ، والإنسان

الشرير من كنز قلبه الشرير يخرج الشر ، فإنه من فضلة القلب يتكلم اللسان .

ـ لأنه مامن شجرة جيدة تثمر ثمرا رديا ، ولاشجرة ردية تثمر ثمرا جيدا ، لأن كل شجرة تعرف من ثمرها ، فإنهم لايجنون من الشوك تينا ، ولا من العليق عنبا » .

ـ لأنه من الداخل ، من قلوب الناس ، تخرج الأفكار الشريرة ، زنى ، قتل ، فسق ، سرقة ، طمع ، خبث ، مكر ، عهارة ، عين شريرة ، تجديف ، كبرياء ، جهل ، جميع هذه الشرور تخرج من الداخل وتنجس الإنسان » .

ونقول إن القلب هو موطن سريرة الإنسان والرمز الذى يرمز به على هذه السريرة ، فإذا كانت سريرة الإنسان تنطوى على الخير ظهر ذلك مترجما فى قوله وفعله وسلوكه ، وإذا كانت سريرته تنطوى على الخبث والكذب والنفاق والرياء انعكس كل ذلك على ظاهره ، وقد أتى القلب بهذا المعنى فى الحديث النبوى المعروف « ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهى القلب » ولقد حدثوا أن لقمان الحكيم أمره سيده ـ وكان عبدا ـ أن يأخذ شاة فيذبحها ، ويأتى إليه بأفضل أعضائها ، فذبحها وأتى إليه بالقلب واللسان ، ثم بعد أيام أمره مرة ثانية بأن يأخذ شاة ويذبحها ويأتى إليه بأخبث أعضائها ، فذبحها وأتى إليه

بالقلب واللسان ، فسأله سيده فى هذا ، فأجاب لقمان بأنهما أطيب مافيها إذا طابا ، وأخبث مافيها إذا خبثا .

ولقد كان السيد المسيح عليه السلام ينعى على اليهود خبثهم وسوء طويتهم ونفاقهم فكان يجابههم بمثل قوله :

– ويل لكم أيها الكتبة الفريسيون المراءون ، لأنكم تشبهون قبورا مبيضة ، تظهر من خارج جميلة ، وهى من داخل مملوءة عظام أموات وكل نجاسة » .

– ويل لكم أيها الكتبة الفريسيون المراءون ، لأنكم تعشرون النعنع والشبت والكمون ، وتركتم أثقل الناموس : الحق والرحمة والإيمان » .

فاليهود يهتمون بالمظهر دون المخبر ، يحافظون على القشور ، ويضيعون القلب واللباب ، يتظاهرون بالورع والتقوى ، وقلوبهم خربة عفنة يهتمون بالطقوس ، ويضيعون حقيقة الإيمان ، يحاسبون على البعوضة ويبتلعون الجمل ! !

ومن فساد طويتهم حبهم لجمع المال وعبادته واكتنازه ، ولهذا رفع المسيح عليه السلام فى وجوههم شعاراً ما آلمه لنفوسهم ! ، فهو يقول لهم :

– لايقدر أحد أن يخدم سيدين ، لأنه إما أن يبغض الواحد ويحب

الآخر ، أو يلازم الواحد ويحتقر الآخر ، لاتقدرون أن تخدموا الله والمال » .

والملحوظ أن جامع المال مهما جمع يزداد سعاره ، ويزداد كَلَبُه ، ويزداد حرصه وشحه ، وحرم منه من يستحق ، وأعطى منه من لايستحق بإنفاقه فى الشهوات والملذات ، ولهذا يقول المسيح عليه الصلاة والسلام :

– الحق أقول لكم إنه يعسر أن يدخل غنى إلى ملكوت السموات ، وأقول لكم أيضا : إن مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غنى إلى ملكوت الله » .

ولما كان الغنى محفوفا بالبخل والشح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أقسم الله تعالى ألا يدخل الجنة بخيل » وقال المولى عز وجل :

« والذين يكنزون الذهب والفضة ولاينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم . يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ماكنزتم لأنفسكم فذوقوا ماكنتم تكنزون » .

ولهذا يقول السيد المسيح أيضا :

– لاتكتنزوا لكم كنوزا على الأرض حيث يفسد السوس والصدأ ،

وحيث ينقب السارقون ويسرقون ، بل اكنزوا لكم كنوزا فى السماء حيث لايفسد سوس ولاصدأ ، وحيث لاينقب سارقون ولايسرقون ، لأنه حيث يكون كنزك يكون قلبك أيضا » .

وكان المسيح عليه السلام يحدثهم عن خبز السماء فيحدثونه عن خبز الأرض :

– ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان »

– إن كان موسى قد أطعمكم المن والسلوى ، فأنا أطعمكم خبزا سماويا » ولكن من أين لليهود أن يفقهوا هذه اللغة الروحية ، وقد استبدت بهم شهواتهم حتى انتفخت بطونهم ، وامتدت كروشهم ، وترهلت أبدانهم ؟ « والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم » .

ويقول لهم السيد المسيح فى عظاته :

– لاتهتموا لحياتكم بما تأكلون وتشربون ، ولا لأجسادكم بما تلبسون ، أليست الحياة أفضل من الطعام ؟! والجسد أفضل من اللباس ؟! انظروا إلى طيور السماء ، إنها لاتزرع ولاتحصد ، ولاتجمع إلى مخازن ، وأبوكم السماوى يقوتها ، ألستم أنتم بالحرىّ أفضل منها ؟ ومن منكم إذا اهتم يقدر أن يزيد على قامته ذراعا واحدة ؟ ولماذا تهتمون باللباس ؟.

انظروا ، تأملوا زنابق الحقل كيف تنمو ، لاتتعب ولاتغزل ، ولكن أقول لكم : إنه ولاسليمان فى كل مجده كان يلبس كواحدة منها ، فإن كان عشب الحقل الذى يوجد اليوم ويطرح غدا فى التنور يلبسه الله هكذا ، أفليس بالحرىّ جدا يلبسكم أنتم ياقليلى الإيمان » .

هذا ، ولما كانت قضية المال وصلته بالأخلاق والإيمان قضية خطيرة فإننا سنعقد لها فصلا خاصا حينما نتحدث عن الأخلاق فى الإسلام ، ويكفينا هنا أن نشير إلى ما ألمعنا إليه من أن الرسالة الأخلاقية هى جوهر المسيحية ولبها اللباب ، ولسنا نقول هذا من عند أنفسنا ، فهذا رئيس من رؤساء المسيحية وزعيم من زعمائها هو القس إبراهيم سعيد يقول فى كتابه « أصحاب السعادة » :

« لسنا نجد فى الموعظة على الجبل عقائد لاهوتية كعقيدة التثليث ، أو التبنِّى ، أو التبرير ، أو التمجيد ، لكننا نجد مبادئ روحية سماوية سامية ، هى روحنا وحياتنا فى حياتنا العملية .

ولاشك عندى فى أننا فى هذه الأيام ، وفى غير هذه الأيام أحوج إلى مبادئ الحياة الروحية العملية منا إلى العقائد اللاهوتية ، والنظم الكنسية .

ولست أحسبنى مبالغا إذا قلت : إن شر الأيام التى مرت بالمسيحية هى تلك الأيام التى انصرفت فيها عن تقويم الحياة الروحية العملية إلى تقديم العقائد اللاهوتية .

إن للعقيدة العقلية مقامها ومكانتها ، ولكن لحياة القلب والروح مكانة أهم ، ومركزا أفضل ، ومقاما أسمى .

أتعرفون ذلك القانون العظيم المسمى « قانون الإيمان الرسولى » الذى يبتدئ بالقول : « أنا أومن بإله واحد ... » الذى تتألف منه عقيدة الكنيسة ؟

إنه لمن المحزن حقا أن فى محاولة تقرير هذا القانون وغيره من قوانين الإيمان قد أنقسمت الكنيسة على نفسها ، وقد وقعت اضطهادات نارية محرقة على الكنيسة ، ومن الكنيسة ، على قوم آخرين فى الكنيسة ، مع أنهم لو اتفقوا على القول بأن خلاصة قوانين الإيمان المسيحية قد حواها كلام المسيح فى الموعظة على الجبل لما اختلف فى قانون المسيحية اثنان » .

وهذا كلام طيب ، فلو أعطت المسيحية جهدها ووجودها لهذه التعاليم لكانت جنبت نفسها كثيرا من الكوارث التى نجمت عن عقد المجامع وإصدار قرارات التكفير والحرمان .

الإسلام ودعائم الأخلاق

الإسلام نظام كامل متكامل عقيدة وعبادة وعملا وسلوكا ، وقد سبق أن قدمنا إجابة السيدة عائشة رضى الله عنها حينما سئلت عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : كان خلقه القرآن ، ومعنى هذه العبارة الموجزة الجامعة أن أخلاقه وصفاته صلى الله عليه وسلم كانت تتفق وجميع معطيات القرآن من أمر ونهى وأدب وحكمة ومعاملة ، يهتدى بهديه ، ويستضئ بنوره فى كل أقواله وأفعاله وتصرفاته ، ولهذا استحق من الله هذا الوسام الربانى « وإنك لعلى خلق عظيم » ،

والرسول صلى الله عليه وسلم قدوتنا وإمامنا ، والقرآن دستورنا .

ولقد دمج الإسلام دمجا عجيبا بين عقائده وعباداته ومعاملاته وآدابه وأخلاقه ، فكان نسيجا متلاحما ، حتى إن الباحث الذى يريد أن يدرس موضوعا من موضوعاته لو اقتصر على هذا الموضوع لكان كمن يريد أن ينسل خيطا من خيوط نسيج محكم متلاحم !

وانظر كيف جمع القرآن الكريم فى آية واحدة من آياته الكريمة

بين العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق ، وجعلها كلها تفسيرا لخلق واحد من أخلاق الإسلام ، فالفضائل تتداخل وتتشابك ويفضى بعضها إلى بعض ، يقول الله جلت حكمته :

« ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ، وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب ، وأقام الصلاة وآتى الزكاة ، والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس ، أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون » .

فليس الدين كما يظن بعض الناس مجرد عبادة وشعائر يقف المرء عندها ويؤديها ثم ينفض يديه متوهما أنه أدى ماعليه ، ذلك أن العبادات إذا لم تنشئ آثارها التى فرضت من أجلها كانت مجرد حركات آلية ميتة لا روح فيها ولاحياة ، وإذا لم تحقق العقيدة أو العبادة مقصد الشرع وأهدافه فى الأخلاق والمعاملة كانت كغرس بلا ثمر ، فالدين بما يشتمل عليه من قواعد إيمانية وعبادات عملية ، ومعاملات وعقود ، وأخلاق وآداب أشبه بشجرة وارفة الظلال ، جذورها العقيدة ، وساقها العبادة ، وأوراقها المعاملة ، وزهرها الآداب ، وثمرها الأخلاق !

فعقيدة الإيمان بالله ووحدانيته ، والإيمان باليوم الآخر ومافيه ،

من بعث وحساب وثواب وعقاب وجنة ونار ، وعقيدة الإيمان بالرسل والأنبياء وما جاءوا به ، من كتب سماوية منزلة من عند الله ، وعقيدة الإيمان بالملائكة والقضاء والقدر ، كل هذه العقائد جذور وأصول كبرى تستقيم عليها العبادات والمعاملات والأخلاق ، لأن المؤمن بهذه العقائد لايفصل بين الإيمان وأداء الصلاة والزكاة والإحسان إلى فقير جائع والصدق فى القول وحفظ الأمانة .. الخ فإذا قصر فى حق أو أداء واجب ندم واستغفر من ذنبه ، « إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون » فنحن بشر نخطئ ونصيب ، ونسهو ونغفل ، والتقوى والصلاح فى سرعة العودة والإنابة إلى الله ، وباب السماء مفتوح لمن تاب وأناب !

وقد حل الدين مشكلة الأخلاق التى أتعبت المفكرين والفلاسفة عن طريق الإيمان ، إنك تسمع فى الفلسفة الأخلاقية عن مذهب اللذة أو مذهب المنفعة ، أو مذهب الواجب ، أو مذهب القوة (نيتشه) ومشكلة الأخلاق لاتحل بهذه النظريات ، وبعضها مخرب مدمر يثمر ثمرات نكدة معطوبة كالمذاهب الإباحية والإلحادية التى ترى فى الإنسان كائنا طارئا كغيره من الكائنات الأرضية يقوم ويتلاشى وينتهى الأمر !

وإذن فالأجدر بالإنسان أن ينتهب ساعات عمره فى مقارفة اللذة واقتناص الشهوة ، واستيفاء حظه من الحياة ، وليفعل مابدا له ومايقدر عليه ، فلا حساب هناك ولاعقاب ، وصدق الله العظيم حيث

يقول : « فالذين لايؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون » ودور العبادات فى تهذيب الأخلاق دور كبير ، فالعبادات تنطوى على حكم خلقية جليلة الشأن ، ولها بالغ الأثر فى تهذيب النفوس وتطهير القلوب .

فالصلاة الحقيقية الكاملة هى التى تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر ، والقبائح والرذائل ، ويشبه رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس بنهر يستحم فيه المصلى خمس مرات فى اليوم ، فهل يبقى على جسمه شئ من الدرن أو القذر ؟

ومن شأن الزكاة أن تطهر المزكى من رذيلة الشح والبخل ، يقول الله تعالى : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها » ومن معانى الزكاة فى اللغة الطيب والرائحة الزكية الطيبة .

ومن شأن الزكاة وأثرها فى المجتمع أنها تقضى على عوامل الحقد والحسد والكراهية والبغضاء ، وتأخذ بيد الضعفاء والعاجزين .

والصوم عبادة وركن من أركان الإسلام يكسر شهوة النفس ، ويوقظ عاطفة الرحمة ، ورياضة نفسية روحية تقوى الإرادة والعزيمة وتعلم الصبر وتحمل المشقات ، وهى عبادة خفية لايطلع عليها إلا الله ، ومن هنا تأتى تربية الضمير وهو مايعبر عنه القرآن بلفظ التقوى ، فيقول الله عز وجل : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » .

وحج بيت الله الحرام ومافيه من مناسك وشعائر ، من الإحرام بارتداء زى واحد غير مخيط ، يشعر الناس بالمساواة والأصل الواحد ، وزوال المفارقات بين الطبقات والأجناس ، وبالحج تتأكد الأخوة بين أبناء الإسلام ، وتتوحد المشاعر ، ويبذل المال ابتغاء مرضاة الله ، ويتزود المؤمن بزاد التقوى والإيمان .

وخلاصة القول أن للعبادة فى الإسلام روحا يجب أن نحافظ عليها حتى لاتتحول العبادة إلى مجرد مراسم شكلية خالية من المضمون والجوهر ، وهو ما يحرص الإسلام على وجوده فى كل عمل من الأعمال .

أما موقف المعاملات من الأخلاق فإن المعاملات الإسلامية كلها مبنية على الأخلاق ، من بيع وشراء ، وأخذ وعطاء ، ورهن وقرض ، وتأجير وإعارة ، وهبة ووصية وزواج ومواريث وعقود وعهود .. الخ .

وأساس النشاط هو العمل فى الزراعة أو الصناعة أو التجارة أو غيرها من وجوه النشاط الإنسانى التى يحترمها الإسلام ، فالإسلام يحض على العمل والسعى لاكتساب الرزق ، والله سبحانه وتعالى يقول : « فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه » ويقول : « وأن ليس للإنسان إلا ماسعى » ويقول : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » ولامكان فى الإسلام للبطالة والتعطل ، ولا مكان

للتسول والاستجداء ولا للكسل والتواكل ، وقد رفع الإسلام مكانة العمل إلى درجة العبادة ، وقرنه بها فى قوله تعالى : « فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون » .

والإنسان فى معركة السعى لطلب الرزق كثيرا ماتصيبه آفات السعى والعمل فينحرف تحت دافع الطمع والجشع إلى الغش ، أو غبن الناس ، وكثيرا مايتحول السعى والطلب إلى سعار محموم ، لهذا وضع الإسلام للكسب المشروع حدودا ، ورسم لأنواع التعامل سياسة حكيمة رشيدة تقوم على رعاية المصالح والحقوق المالية ، والقاعدة الكبرى أنه لاضرر ولاضرار كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذه الحدود تمنع الإنسان من أكل جهد الناس ظلما وعدوانا ، ومن أخلاقيات الإسلام تحريم التعامل بالربا « الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المسّ ، ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا ، وأحلَّ البيع وحرم الربا ، فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ماسلف وأمره إلى الله ، ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » .

ونظرة إلى مايعانيه الاقتصاد العالمى اليوم من خلل وفوضى وعدم تكافؤ بين الدول الغنية التى كونت ثرواتها من الاحتكار والاستغلال والقوة القاهرة الغشوم ، وماتعانيه الدول الفقيرة المقترضة تحت نير

الفوائد الربوية الباهظة تطلعنا على الحكمة السامية التى يهدف إليها الإسلام من تحريم هذا النوع الخبيث من التعامل الذى يورث الضغائن والأحقاد ، فالربا مبنى على الكسب دون مقابل ، وهو ظلم صارخ ، واستغلال لحاجة الإنسان ، وشريعة الله القرض الحسن للمحتاجين المعوزين « إن تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم ، والله شكور حليم » .

وحرّم الإسلام أكل أموال الناس بالباطل تحت أية صورة من الصور ، واسم من الأسماء ، فحرم اغتصاب الأموال والحقوق ، ومايشبه الغصب من صور المعاملات ، يقول الله تبارك وتعالى : « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون » .

وجعل للسرقة عقوبة رادعة زاجرة هى قطع يد السارق متى ثبتت عليه جريمة السرقة واستوفت شرائطها ، وبعض الناس يستفظع هذا العقاب ، ولايستفظعون الإخلال بالأمن العام والخوف والذعر الذى ينتاب الناس من جرائم السطو التى كثرت حوادثها هذه الأيام ، وإن هى إلا قطع أياد قليلة عابثة حتى يستتب الأمن ويشعر الناس بالأمان ، والمثل أمام أعيننا ، فقد كانت المملكة العربية السعودية من أكثر البلاد عدوانا على أموال الناس وأرواحهم فى موسم الحج ، فلما طبق حكم الله ساد الأمن والأمان فى ربوع البلاد .

ودعا الإسلام إلى توثيق الديون والإشهاد عليها حتى لايحدث تجاحد أو إنكار ، وحتى يأخذ كل ذى حق حقه ، ومن آدابه وأخلاقه أنه يدعو الدائن إلى إنظار المدين وإمهاله إن كان معسرا ، فيفسح له فى الأجل والمدة ، بل ورغب فى إعفاء المدين من بعض الدَّيْن أو إسقاطه بالكلية ، ووعد على ذلك بالأجر العظيم والثواب من الله « وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة ، وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون » .

وحث على أداء الشهادة وعدم كتمانها « ولاتكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه ، والله بما تعلمون عليم » .

ومن أخلاقيات الإسلام فى المعاملات بالنسبة للتجارة ، عدم احتكار السلع والمبالغة فى الربح ورفع الأسعار ، وعدم الغش ، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « من غشنا فليس منا » ونهى عن تطفيف الكيل والميزان ، ومثل الكيل والميزان مايقاس بالمتر أو الذراع « ويل للمطففين . الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون . وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون . ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون . ليوم عظيم . يوم يقوم الناس لرب العالمين » .

يقول ابن تيمية رحمه الله : البيع والهبة والإجارة وغيرها من العادات التى يحتاج إليها الناس فى معاشهم كالأكل والشرب واللباس .. وإن الشريعة قد جاءت فى هذه العادات بالآداب

الحسنة ، فحرمت منها مافيه ضرر ، واستحبت مافيه مصلحة راجحة فى هذه العادات ومقاديرها وصفاتها » .

وليست المعاملات المالية وحدها المبنية على رعاية الحقوق والأخلاق ، فهناك كثير من ألوان العقود يحافظ الإسلام فيها على حقوق الطرفين المتعاقدين ، ولا يذهب كما يذهب القانون الوضعى بأن القانون لايحمى المغفل ، هناك كنموذج مثلا عقد الزواج ، فقد نظم الإسلام العلاقة بين الرجل والمرأة على أساس الاعتراف لكل منهما بإنسانيته وآدميته ، فالعلاقة المشروعة فى الاتصال الجنسى هى الزواج ، وهو طريق العفة وبناء الأسرة وإنجاب النسل ، فمن قدر على تكاليفه أثم بتركه لأنه سنتنا وشريعتنا ، ومن لم يقدر فليجعل نصب عينيه قول المولى عز وجل : «وليستعفف الذين لايجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله » .

ومقياس الحسن فى المرأة هو الدين والخلق ، ولا بأس أن ينضم إليهما الجمال والمال : «فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله » .

والصداق أو المهر فريضة مفروضة للمرأة ، ولايحل للرجل أن يأكل شيئا منه إلا برضاها وعن طيب خاطر منها ، والاقتصار على زوجة واحدة هو الأصل عند خوف الجور وعدم العدل ، ولايأتى التعدد المشروع إلا لضرورة من الضرورات .

وأساس الرابطة الزوجية المودة والرحمة « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة .

والحكمة من الزواج بقاء النوع الإنسانى وتواصل الأجيال « والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا ، وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون » .

وقد ساوى الإسلام بين الرجل والمرأة فى الحقوق والواجبات ، وجعل أساس العلاقة المعاشرة بالمعروف حتى عند حدوث النفور « فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا »

واللجوء إلى الطلاق لايكون إلا عند استحالة العشرة ، فالطلاق أبغض الحلال إلى الله ، كما قال رسول الله .

والاتصال الجنسى عن غير الطريق الشرعى اتصال آثم محرم عقوبته الجلد أو الرجم بشروطه المعروفة ، وينعى أعداء الإسلام على الإسلام هذه العقوبة الزاجرة ، ويتابعهم فى ذلك غير الفاقهين من المسلمين ، أو رقيقوا الدين ، وهم يفضلونها إباحية مطلقة ، ويتخذون من المرأة دمية للهو والتسلية فى سوق الرقيق الأبيض ، ويغلفون دعاواهم بأغلفة براقة خادعة تارة باسم الحرية الشخصية ، وتارة باسم الفن .. متبعين فى ذلك مجتمعات تحررت من الدين ، ومن كل القيم والثوابت التى عاشت عليها البشرية دهورا طويلة .

وإذا ظهرت الفاحشة فى مجتمع من المجتمعات وفشت فيهم سلط الله عليهم من الأمراض والأدواء مالم يكن فى أسلافهم ، وها هوذا مرض « الايدز » ينخر فى هذه المجتمعات جزاء شذوذهم وعدم استمساكهم بالشرف والعفة والفضيلة .

وأمام جريمة القتل شرع الإسلام القصاص حفظا للأرواح وإنقاذا للحياة من الدمار ، لأن القاتل حين يعرف أنه إن قتل يقتل امتنع عن القتل ، وهذا هو معنى قوله سبحانه وتعالى : « ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون » .

وأمام جريمة الحرابة وهى قطع الطريق ، والنشل بالإكراه ، وسلب الأموال ، وهتك الأعراض وإهلاك الحرث والنسل والتحدى للدين والأخلاق والقانون وضع الإسلام عقوبة تمنع كل هذا فى غمضة عين ، وعند أوليات التطبيق تختفى هذه الجرائم المنكرة التى نقرأ أحداثها فى الصحف والمجلات ، وعلى شاشة التليفزيون أحيانا ، والعقاب هو ماقال الله رب العالمين الخبير بأدواء النفوس وعلل النفوس : « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يُقتّلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ، ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم » .

والتعامل بين الحاكم والمحكوم يقوم على رعاية الحقوق

والواجبات ، وأساس الحكم فى الإسلام إقامة العدل ، ومن أجل ذلك شرع نظام الشورى لتحقيق العدالة بين الناس « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » والعدل قاعدة من قواعد الإسلام وأصل كبير من أصوله على النطاق الجماعى وعلى النطاق الفردى «وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى » « ولايجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله » وطاعة الحاكم واجبة فما لامعصية فيه لله « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ، فإن تنازعتم فى شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا »

وأساس التعامل بين المسلمين جميعا التعاون على البر والتقوى ، وأساس التعامل بين أبناء البشر جميعا التعارف والتآلف « وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

وأساس الحرب فى الإسلام الدفاع عن الذين والدفاع عن النفس والمال « أذن للذين يُقاتلون بأنهم ظُلموا وإن الله على نصرهم لقدير » فإن مال العدو إلى السلم فالإسلام يقر السلم ويجنح إليه ، « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » .

واحترام العهود والمواثيق أدب من آداب الإسلام وخلق من أخلاقه ، « يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » « وأوفوا بعهد الله إذا

عاهدتم ولاتنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ماتفعلون »

هذه نبذة مختصرة عن أحكام الإسلام فى عقائده وعباداته ومعاملاته التى جعلها دعائم للأخلاق الفاضلة الكريمة ، فكانت أحكامه رحمة شاملة للناس جميعا « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين »

الأخلاق فى القرآن

للقرآن الكريم فى عرض الآداب والأخلاق طريقان أو أسلوبان متميزان ، أحدهما عرض الآداب والتوجيه والأخلاق عن طريق الوصايا والحكم والثانى عرضها عن طريق الوصف التقريرى لحال المؤمنين الصالحين المتجملين بأجمل الأخلاق وأحسن الآداب .

فمن الأسلوب الأول قوله سبحانه وتعالى فى سورة الأنعام :

« قل تعالوا أتل ماحرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا ، وبالوالدين إحسانا ، ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ، ولاتقربوا الفواحش ما ظهر منها ومابطن ، ولاتقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ، ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون . ولاتقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده ، وأوفوا الكيل والميزان بالقسط ، لانكلف نفسا إلا وسعها ، وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى ، وبعهد الله أوفوا ، ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون . وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلك وصاكم به لعلكم تتقون » .

وقوله سبحانه وتعالى فى سورة الإسراء :

« وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا ، إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا . ربكم أعلم بما فى نفوسكم ، إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفورا وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا . إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين ، وكان الشيطان لربه كفورا . وإما تعرضنَّ عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا . ولاتجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولاتبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا . إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ، إنه كان بعباده خبيرا بصيرا . ولاتقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم ، إن قتلهم كان خطئا كبيرا . ولاتقربوا الزنى ، إنه كان فاحشة وساء سبيلا . ولاتقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ، ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلايسرف فى القتل إنه كان منصورا . ولاتقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده ، وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا . وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا . ولاتقف ماليس لك به علم ، إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا . ولاتمش فى الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا . كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها . ذلك مما أوحى إليك

ربك من الحكمة ، ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى فى جهنم ملوما مدحورا » .

هذا هو الأسلوب الأول فى عرض الأخلاق والآداب التى ينبغى أن يكون عليها المؤمن الصالح ، أما الأسلوب الثانى فهو كما قلنا أسلوب الوصف التقريرى الذى يصف حال المؤمنين الطيبين الصالحين وما هم عليه من تقى وصلاح وأخلاق نقية طاهرة ، ومن أمثلة ذلك الأسلوب قوله سبحانه وتعالى فى أول سورة « المؤمنون » :

« قد أفلح المؤمنون . الذين هم فى صلاتهم خاشعون . والذين هم عن اللغو معرضون . والذين هم للزكاة فاعلون . والذين هم لفروجهم حافظون . إلا على أزواجهم أو ماملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين . فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون . والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون . والذين هم على صلواتهم يحافظون . أولئك هم الوارثون . الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون » .

ومثل قوله تعالى فى وصف عباده المؤمنين المتقين فى سورة الفرقان : « وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما . والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما . والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ، إن عذابها كان غراما . إنها ساءت مستقرا ومقاما . والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما . والذين لايدعون مع الله إلها آخر ولايقتلون

النفس التى حرم الله إلا بالحق ولايزنون ، ومن يفعل ذلك يلق أثاما . يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا . إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ، وكان الله غفورا رحيما . ومن تاب وعمل صالحا فإنه يتوب إلى الله متابا . والذين لايشهدون الزور وإذا مرُّوا باللغو مروا كراما . والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا . والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما . أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما . خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما »

ومن نعوتهم وصفاتهم فى القرآن :

« الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون »

« الذين يقولون ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار . الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار »

« الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين . والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ، ومن يغفر الذنوب إلا الله ، ولم يصروا على مافعلوا وهم يعلمون » .

« الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى

خلق السموات والأرض ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار »

« الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون . الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون »

« الذين آمنوا وكانو يتقون » .

« الذين يوفون بعهد الله ولاينقضون الميثاق . والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب . والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرءون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار » .

« إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعدّ الله لهم مغفرة وأجرا عظيما » .

« وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون . والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ماغضبوا هم يغفرون . والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون . والذين إذا أصابهم البغى هم ينتصرون »

مغريات الحياة

يقول الله سبحانه وتعالى :

« زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب » .

هذه هى ملاذ الحياة ومغرياتها المال والنساء والأولاد ، وقد بدأ الله سبحانه وتعالى بالنساء لأن الفتنة بهن أشد ، كما ثبت فى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم : « ماتركت بعدى فتنة أضرّ على الرجال من النساء » .

ولهذا رغب الإسلام فى الزواج لتحصل العفة ويحدث النسل ، ومن نعمة الدنيا وخير متاعها الزوجة الصالحة كما أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد قال عليه الصلاة والسلام : « الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة ، إن نظر إليها سرته ، وإن أمرها أطاعته ، وإن غاب عنها حفظته فى نفسها وماله » وقال فى حديث آخر : « حبب إلىّ النساء والطيب وجعلت قرة عينى فى الصلاة » .

وكما أن للنساء سلطانا على قلوب الرجال ، كذلك للمال سلطان كبير على النفوس ، وحب التملك والاقتناء غريزة من غرائز الإنسان ، يقول الله تعالى : « وتحبون المال حبا جما » ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى ثالثا ، ولايملأ جوف ابن آدم إلا التراب » .

ويكذب من يقول إنه لايحب المال ، فهو أكبر مقومات الحياة ، وسر الحركة والنشاط والعمران ، ولكن الشئ إذا زاد عن حده انقلب إلى ضده ، فقد يكون المال فى يد الإنسان نعمة إذا اكتسبه من طرقه المشروعة الشريفة ، وأنفقه فى وجوهه المشروعة ، وأدى منه الحقوق والواجبات ، وقد ينقلب إلى نقمة فيدمر صاحبه إذا أنفق فى اللهو والعبث والملذات وأكثر ماينشأ من فساد الأخلاق إنما يأتى من هاتين الجهتين : المال والنساء ، والمال هو الأصل الذى يأتى بعده كل شئ الدور والقصور والأثاث والرياش والأطعمة الفاخرة والخدم والحشم والأتباع ، وماتشتهيه النفوس وترغب فيه ، وقد حذرنا الله سبحانه وتعالى من فتنة النساء ، وفتنة المال والولد لأن الطبيعة البشرية ضعيفة أمام هذه الفتن ، وهذا مايحذرنا الله منه أن نضعف أمام إغراء المال أو إغراء الجمال ، أو حب الولد .

إن المال يصير نقمة وشرا إذا ضنّ المرء به وشحّ ، وحرم منه أصحاب الحقوق ، وأهرق فى سبيله ماء وجهه ، وداس على

كرامته ، وضحى بأنفس القيم فى سبيل جمعه .

وهو شر إذا اكتسبه من طرق خبيثة كالسرقة والغصب والاحتيال والنصب والربا والظلم والاحتكار والرشوة والاختلاس والغش وتطفيف المكيال والميزان .

وهو شر إذا أغرى صاحبه بالبطر والأشر والتكبر والخيلاء والزهو وصدق الله العظيم حيث يقول : «كلا إن الإنسان ليطغى . أن رآه استغنى » .

فالمال وسيلة وليس غاية فى ذاته يقول صلى الله عليه وسلم : لاخير فيمن لايحب المال ، ليصل به رحمه ، ويؤدى به أمانته ، ويستغنى به عن خلق ربه » .

وإذا كان الإسلام قد رسم الخطوط العامة العريضة لكسب المال عن طريق العمل والسعى والطرق الشرعية الأخرى كالهبة والميراث ، فإنه أيضا وضع الخطوط العامة لطريقة إنفاقه وصرفه .

وفى مقدمة هذه الوجوه ، الإنفاق على النفس والأهل ومن يجب عليه نفقتهم فى حدود مارزقه الله « لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لايكلف الله نفسا إلا ماآتاها ، سيجعل الله بعد عسر يسرا » .

ثم عليه أن يؤدى الواجبات المفروضة التى تتعلق بهذا المال ،

كالزكاة المفروضة والإنفاق فى وجوه البر والخيرات ، ثم عليه ألا يحبس هذا المال ويكنزه ، بل عليه أن يوظفه لخدمة الصالح العام ، وليتذكر كلُّ غنىّ أولا وقبل كل شئ أن المال مال الله ، والله تعالى يقول : « وآتوهم من مال الله الذى آتاكم » ويقول : « وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير » .

وليتذكر أن متاع الدنيا زائل ، سرعان مايمضى ويزول ، وما عند الله خير وأبقى ، فطوبى لمن آثر عفة النفس ، وقاوم سيطرة الشهوات والمغريات ، وآثر ماعند الله عن كل شئ سواه .

نماذج من الرذائل

من الصعب أن نفرق بين الرذائل الفردية التى تتعلق بالشخص ذاته ، وتكون مطعنا فى شخصه ، والرذائل الاجتماعية ، فكلها فى النهاية رذائل يعود ضررها على المجتمع وعلى الفرد نفسه ، فالكاذب حين يكذب يعود ضرر كذبه على المحيطين به ، ويحتقر بينهم ، وكذلك الأمر فى باقى النقائص والعيبوب .

والنفوس تمرض كما تمرض الأجساد ، فكما أن الإنسان يصاب بالذبحة أو تصلب الشرايين أو ضغط الدم ، فكذلك يصاب بأمراض نفسية خلقية لا تقل عنها خطرا وسوء عاقبة ، وسنورد هنا نماذج من هذه الرذائل والعيوب :

الكذب :

وهو صفة نفسية ذميمة تدل على ارتكاس الخلقة وفساد الطوية ، وبعض الناس يكذبون لدفع مضرة أو لجر مغنم ، وهم فى هذا واهمون ، لأن النافع الضار هو الله سبحانه وتعالى ، والعجب كل

العجب ممن يكذب لمجرد الكذب ، وهو دليل نقص الإيمان .

يقول الله سبحانه وتعالى : « إنما يفترى الكذب الذين لايؤمنون بآيات الله » ويقول : « ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة » .

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « إن الكذب يهدى إلى الفجور ، وإن الفجور يهدى إلى النار ، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا » .

النفاق :

والنفاق نوعان ، نفاق العقيدة ونفاق الأخلاق ، والمنافق فى العقيدة هو من يبطن الكفر ويظهر الإيمان ، ولنفاق الأخلاق صور كثيرة ، من أظهرها المدح الكاذب تقربا للرؤساء ، وروى أن ناسا قالوا لعبد الله بن عمرو : إنا ندخل على سلاطيننا فنقول لهم بخلاف مانتكلم إذا خرجنا من عندهم ، فقال لهم : كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، « يقولون بأفواههم ماليس فى قلوبهم والله أعلم بمايكتمون » .

ومن صوره مخالفة القول للفعل « يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالاتفعلون . كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالاتفعلون » .

وقد تهدد الله المنافقين بالعذاب الشديد يوم القيامة « إن المنافقين

فى الدرك الأسفل من النار » « إن الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعا » .

وفى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تجدون شر الناس ذا الوجهين » الذى يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه » .

وهؤلاء المنافقون يتلونون كالحرباء ولايثبتون على حال من الأحوال ، وهم فاقدوا الكرامة ، مسلوبوا الشخصية ، يدورون مع كل ريح ، ويتبعون كل ناعق .

والمنافق يهش فى وجهك ويبش ، ولكنه زئبقى القول والعمل :

يعطيك من طرف اللسان حلاوة
ويروغ منك كما يروغ الثعلب

الخيانة :

فى تحريم الخيانة يقول الله سبحانه وتعالى : « يا أيها الذين آمنوا لاتخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون » .

والخيانة لله تعالى وللرسول تعم الذنوب كبيرها وصغيرها ، وخيانة الأعمال هى خيانة الأمانات التى اؤتمن عليها الإنسان ، ومن الخيانة الغلول ، وهو الخيانة فى الفئ والمغانم فى الحرب ، ويقاس عليها اغتيال المال العام الذى كثر فى هذه الأيام ، فمن أؤتمن على مال عام فأخذ منه شيئا لنفسه دخل فى زمرة المغلين الذين هددهم الله بقوله : « ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة » .

ويدخل فى هذا المعنى الهدايا التى تقدم إلى الحكام والرؤساء ، ولا يقصد بها الصداقة والود وتوطيد المحبة بين الناس .

روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، استعمل على جمع الزكاة رجلا من الأزد يسمى ابن اللتبية ، فلما جاء بالصدقات قال : هذا لكم ، وهذا أُهدى إلىّ ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فقال :

مابال العامل نبعثه على عمل فيقول : هذا لكم وهذا أُهدى إلىّ ، أفلا جلس فى بيت أبيه وأمه فينظر أيُهدى إليه أم لا ؟!

والذى نفسى بيده ، لا يأتى أحدكم منها بشئ إلا جاء به يوم القيامة على رقبته ، إنْ بعيرا له رُغاء ، أو بقرة لها خُوار ، أو شاة تيْعر ! ثم رفع يديه حتى رأوا عُفرة إبطيه ، ثم قال : اللهم هل بلغت ؟ اللهم هل بلغت ؟ اللهم هل بلغت ؟»

فليحذر الذين يخالفون عن أمر الله أن يحل عليهم غضب الله ، أو تصيبهم قارعة ويحل عليهم عذاب شديد .

الحقد والحسد :

معنى الحسد تمنى زوال نعمة الغير ، وقد تكون هذه النعمة دينا أودنيا ، وقد أمرنا الله سبحانه وتعالى أن نستعيذ به من شر الحاسد ، وقال سبحانه وتعالى : «أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من

فضله » وفى الحديث الشريف « إياكم والحسد ، فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب » .

والحقد أصل الحسد ، فلا يحسد الناس إلا حاقد يتلظى قلبه بنار الحقد ، والحقد ليس من صفات المؤمن ، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس المؤمن بحقود » .

والحقد والحسد هما أول معصية عصى الله بها فى الوجود ، حينما رفض إبليس أن ينفذ أمر الله بأن يسجد لآدم سجود تكريم وتشريف ، وأول جريمة قتل فى الوجود كانت بسبب الحسد حين قتل قابيل أخاه هابيل .

الرياء :

وهو لون من ألوان النفاق ، قال الله سبحانه وتعالى فى شأن المرائين « يراءون الناس ولايذكرون الله إلا قليلا » وقال : «كالذى ينفق ماله رئاء الناس » .

والرياء نوع من الشرك الخفى ، قال صلى الله عليه وسلم ، يحدث عن الله « أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملا أشرك فيه معى غيرى تركته وشركه » .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد

فأتى به ، فعرّفه نعمته فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : قاتلت فيك حتى استشهدت ، قال : كذبت ، ولكنك قاتلت لأن يقال : جرئ فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار .

ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن ، فأتى به فعرفه نعمته فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : تعلمت العلم وعلمته ، وقرأت فيك القرآن ، قال : كذبت ، ولكنك تعلمت ليقال : عالم ، وقرأت القرآن ليقال : قارئ ، فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى به فى النار .

ورجل وسّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال ، فأتى به ، فعرفه نعمته فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : ماتركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك ، قال : كذبت ، ولكنك فعلت ليقال : جواد ، فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار » نسأل الله أن يرزقنا الإخلاص ويجنبنا الرياء .

البخل :

وحقيقة البخل إمساك المال وعدم إنفاقه فى الواجبات المفروضة شرعا وفى أنواع المروآت ، ومن الناس من وسّع الله عليهم فى الرزق وآتاهم من فضله فبخلوا وشحوا ، وطمس المال على قلوبهم فاتخذوه إلها يعبدونه من دون الله .

يقول الإمام الغزالى : « وهذا مرض للقلب عظيم عسير العلاج ، لاسيما فى كبر السن ، وهو مرض مزمن لايرجى علاجه » .

والبخيل يتعلل لعدم إنفاق المال بشتى العلل والمعاذير .

وللبخيل على أمواله علل
زرق العيون عليها أوجه سود

والبخيل لايقبل نصحا ولا إرشادا ، وكل محاولة تبذل معه لاتفسير لها إلا أن الناس يطمعون فى ماله ، وهو فاقد الثقة بالله لأنه يخاف أن يرتدَّ فقيرا .

« الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفشحاء ، والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم » .

« ولايحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم ، بل هو شر لهم ، سيطوقون مابخلوا به يوم القيامة ، ولله ميراث السموات والأرض ، والله بما تعملون خبير » .

والشح أشد من البخل ، « ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » وفى الحديث الشريف « اتقوا الشح ، فإن الشح أهلك من كان قبلكم ، حملهم على أن سفكوا دماءهم ، واستحلوا محارمهم » وقال صلى الله عليه وسلم : « برئ من الشح من أدى الزكاة ، وقرى الضيف (يعنى قدم له الطعام) وأعطى عند النائبة (أى عند نزول المصائب) .

الغيبة والنميمة :

ومعنى الغيبة ذكر عيوب الناس فى غيبتهم ، ومعنى النميمة السعى بالفساد بين الناس ، وفى ذمهما يقول الله سبحانه وتعالى : « ولايغتب بعضكم بعضا ، أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا » ويقول : « ولاتطع كل حلاف مهين . همازمشاء بنميم » ويقول : « ويل لكل همزة لمزة » وقال صلى الله عليه وسلم : « لايدخل الجنة نمام » وقال : ألا أخبركم بشراركم ؟ المشاءون بالنميمة ، المفسدون بين الأحبة ، الباغون للبرآء العنت » .

وعن أبى هريرة رضى الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أتدرون ما الغيبة ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : ذكرك أخاك بمايكره ، قيل : أفرأيت إن كان فى أخى ما أقول ؟ قال : إن كان فيه ماتقول فقد أغتبته ، وإن لم يكن فيه ماتقول فقد بهتّه » والبهتان افتراء الكذب .

الايذاء :

ويكون بالقول وبالفعل ، ورب كلمة جارحة أوقع على النفس وآلم من وقع الحسام المهنّد ! هؤلاء الذين يؤذون الناس بألسنتهم وينتقصونهم ويلصقون بهم التهم الكاذبة الظالمة ، إنهم منكسوا الخلقة ، فاسدوا السريرة ، مغرضون موتورون .

« والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا » « إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « لا تؤذوا عباد الله ولا تعيروهم ، ولاتطلبوا عوراتهم ، فإنه من طلب عورة أخيه المسلم طلب الله عورته حتى يفضحه فى بيته » وقال عليه الصلاة والسلام « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » .

الظلم :

وهو العدوان على حق الغير ، أيا كان هذا الحق ، وقد توعد الله الظلمة بالعذاب الشديد يوم القيامة ، قال الله سبحانه وتعالى : « ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب » وقال : « ولاتحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار » وقال : « ولو ترى إذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون » .

وفى الحديث الشريف : « اتقوا الظلم ، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة » .

شهادة الزور :

قال الله سبحانه وتعالى : « فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور » وقال : « والذين لايشهدون الزور » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ قلنا ، بلى يارسول الله ، قال : الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين ـ وكان متكئا فجلس وقال ـ ألا وقول الزور ، ومازال يكررها حتى قلنا : ليته سكت .

المكر السيئ :

قال سبحانه وتعالى : « والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور » وقال : « ولايحيق المكر السيئ إلا بأهله » وقال : « أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لايشعرون »

وقال صلى الله عليه وسلم : « إياك ومكر السيئ، فإنه لايحيق المكر السيئ إلا بأهله ، ولهم من الله طالب » .

الكبر :

الكبر مرض خطير من أمراض القلوب ،قال الله سبحانه وتعالى « إنْ فى صدورهم إلا كبر ماهم ببالغيه » .

فإذا ظهر الكبر على جوارح الإنسان مثل تصعير الخد للناس ، والاختيال فى المشى كان تكبرا .

والمتكبر يستعظم نفسه ، ويستحقر غيره ، ويستطيل على الناس ، ويُدِلّ عليهم بما أعطاه الله من نعم لايحسن شكرهاَ .

وهو من أشد الصفات مقتا ، تجلب ذم الناس وسخطهم ، فضلا عن أنه منازعة لله فى كبريائه وسموه ، فالله وحده هو المستحق للعظمة والكبرياء ، وفى الحديث القدسى عن الله تعالى : « العظمة إزارى ، والكبرياء ردائى ، فمن نازعنى فيهما قصمته »

وقال صلى الله عليه وسلم : « لايدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال حبة خردل من كبر» .

ويكثر التكبر بين أصحاب المال والجاه والمناصب ـ وكلها أشياء موقوتة زائلة ـ وينبغى على من رزقه الله بشئ منها أن يؤدى حقها فى وجوب شكران الله عليها ، لافى البغى والتكبر والتجبر.

اتباع الهوى :

ومعناه انقياد الإنسان لغرائزه البهيمية وشهواته وأغراضه ، وقد ذم الله سبحانه وتعالى من يتبع هواه فقال سبحانه وتعالى : « ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه ، فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث » وقال : « ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله » وقال : « أفرأيت من اتخذ إلهه هواه ، وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ، فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون » .

والذين يجاهدون أنفسهم الأمارة بالسوء ، ويقاومون الهوى هم المؤمنون الصادقون فى دعوى الإيمان « فأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى . فإن الجنة هى المأوى » .

التقليد الأعمى :

الإسلام يحترم العقل ، ويحترم التفكير الحر البنّاء ، ولقد نعى الله على المشركين والكافرين تمسكهم بالشرك والكفر تقليدا لآبائهم ، فكانوا يقولون عن الأصنام وجدنا آباءنا لها عابدين ، وإذا جاءهم النبى أو الرسول بأمر من عند الله قالوا : ماسمعنا بهذا فى آبائنا الأولين ، وكما قلدوا آباءهم فى مجال العقيدة الفاسدة قلدوهم أيضا فى عاداتهم الفاسدة « وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا » .

وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد نهى عن تقليد الآباء فى عقائدهم الفاسدة ونقائصهم الخلقية ، أليس عجبا من العجب حالنا نحن المسلمين اليوم ، إذ أصبحنا كالقردة نقلد الأوربيين والأجانب تقليدا أعمى ، لانميز بين صالح ، وفاسد ، وبين غث وثمين ، بل نحن نقلدهم فى مباذلهم ومفاسدهم ، ولانقلدهم فى العمل وتقديسه ، وفى النظام ، وفى النظافة ، مع أن هذه المبادئ من صميم ديننا وعقيدتنا .

انظر حولك ، أيجوز للمسلم أن يلهو فى ملاعب اللهو والفساد ، وأن يراقص النساء ويشرب الخمر ؟!

أيسوغ للمرأة المسلمة أن تطرح ثياب الحشمة والعفة ، وأن تنهتك وتتبرج فى الشوارع والطرقات ؟!

أيسوغ لوسائل الإعلام عندنا أن تنشر الإثم والانحلال باسم الحضارة والتقدم والعصرية ومسايرة الفن ؟!

ومن عجب أن يدعى من يفعل هذا عصريا تقدميا !

وأن يرمى المحافظون على الخلق والدين بالتزمت والجمود والتقليد ! ! !

نماذج من الفضائل

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » والأصل فى الخُلُق الحسن أن يتخلى الإنسان عن الرذائل ، وأن يتحلى بالفضائل ، والفضائل تتداخل وتتشابك ، ويجمعها جميعا الخلق الحسن يقول الرسول عليه الصلاة والسلام : « أثقل مايوضع فى الميزان الخلق الحسن » ويقول : « إن أحبكم إلىّ وأقربكم منى مجالس يوم القيامة ، أحاسنكم أخلاقا ، الموطأون أكنافا ، الذين يألفون ويؤلفون» وقال : «إن من أخلاق المؤمن ، قوة فى دين ، وحزما فى لين ، وإيمانا فى يقين ، وحرصا فى علم ، وشفقة فى مقة ، وحلما فى علم ، وقصدا فى غنى ، وتجملا فى فاقة ، وتحرجا عن طمع ، وكسبا فى حلال ، وبرا فى استقامة ، ونشاطا فى هدى ، ونهيا عن شهوة ، ورحمة للمجهود » .

وقالت السيدة عائشة رضى الله عنها :

مكارم الأخلاق عشرة ، صدق الحديث ، وصدق اللسان ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، والمكافأة بالصنيع ، وبذل المعروف ،

وحفظ الذمم للجار ، وحفظ الذمام للصاحب ، وقرى الضيف ، ورأسهن الحياء » .

وفى رأينا أن مكارم الأخلاق كثيرة لايمكن حصرها أو الإحاطة بها ، فكل عمل طيب مكرمة وفضيلة ، ولكننا سنذكر نماذج من أخلاق الإسلام وفضائل الإسلام .

الصـدق :

وهو أن يخبر الإنسان بما يعتقد أنه الحق ، وهو من أهم الفضائل التى يسعد بها المجتمع حيث تعم الثقة بين الناس ، وتتوطد أواصر التقارب والتآلف ، ولاخير فى مجتمع يسود فيه الكذب ، وتفتقد فيه الثقة .

يقول الله تبارك وتعالى : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين » ويقول : « ليجزى الله الصادقين بصدقهم » .

ويقول : « فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم » .

ويقول عليه الصلاة والسلام : « إن الصدق يهدى إلى البر ، وإن البر يهدى إلى الجنة ، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا ، وإن الكذب يهدى إلى الفجور ، وإن الفجور يهدى إلى النار ، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا » .

الأمـانة :

يقول الله سبحانه وتعالى : « فإن أمن بعضكم بعضا فليؤد الذى أؤتمن أمانته وليتق الله ربه » ويقول : « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها » .

ويقول عز وجل : « إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا » .

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك » .

والأمانة نوعان :

فمنها ماهو حق من حقوق الله عز وجل على عباده كالصلاة والزكاة والصيام والكفارات والنذور .

ومنها ماهو حق من حقوق العباد كالودائع وغير ذلك مما يؤتمون عليه من غير شهود ولابينة .

وضياع الأمانة علامة من علامات الساعة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

العدل :

والعدل نوعان :

عدل الناس فيما بينهم ، وهو أداء كل ذى حق حقه .

وعدل الحاكم وهو تحقيق المساواة بين الناس فى الحقوق والواجبات والحكم وسن القوانين وتطبيقها ، وعدم التحيز لفئة أو طبقة على حساب المجموع .

والمجتمع العادل ، هو الذى تتكافأ فيه الفرص أمام الجميع ، فيتقدم المجتمع ويرقى ويزدهر بالعدل ، قال الله سبحانه وتعالى : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان » وقال : « وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » وقال : « اعدلوا هو أقرب للتقوى » وقال : « وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى » وقال : « ولايجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا » فأمرنا سبحانه بالعدل وتحقيقه وإقامته دون تحيز لقريب ، أو وقوف ضد عدو .

وقد ثبت فى الصحيحين عن النعمان بن بشير قال : نحلنى أبى نحلا فقالت أمى عمرة بنت رواحة : لا أرضى حتى تشهد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاءه ليشهده على صدقتى ، فقال : أكلَّ ولدك نحلت مثله ، قال : لا ، فقال صلى الله عليه وسلم : اتقوا الله واعدلوا فى أولادكم . وقال : لا أشهد على جور » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « إن المقسطين عند الله على منابر من نور : الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وما وُلُّوا » .

العفة :

ومعنى العفة الاعتدال فى الميل إلى اللذات والخضوع لحكم العقل ، لأن التهالك على اللذة يفقد الإنسان السيطرة على ضبط نفسه ، فيصبح أسير شهوته ، وكلما نال شهوة مال إلى غيرها ، ومن كان على هذه الحال لايرجى نفعه ، ولايرجى صلاحه فينقلب فاجرا عربيدا إن كانت شهوته إلى الجنس ، وينقلب كلبا مسعورا إن كانت شهوته إلى المال ، وينقلب طاغية جبارا إن كانت شهوته إلى الحكم والتحكم والسلطان . .

قال الله تعالى : « وليستعفف الذين لايجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله » وقال عن الفقراء عفيفى النفس « يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف » وقال صلى الله عليه وسلم : « من يستعفف يعفه الله ، ومن يستغن يغنه الله » .

الاستقامة :

قال الله تعالى : « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولاتحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون. نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولكم فيها ماتشتهى أنفسكم ولكم

فيها ماتدعون » وقال : « فاستقم كما أمرت » وقال : « وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غَدَقاً » .

وروى أن رجلا سأل رسول الله فقال له : مرنى بأمر فى الإسلام لا أسأل عنه أحدا بعدك ، فقال له الرسول : قل آمنت بالله ثم استقم » .

الإخلاص :

قال الله تعالى : « قل إنى أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين »

وقال : « ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ونحن له مخلصون »

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ مانوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله ، فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ماهاجر إليه » .

الرحمة :

زعم بعض المفكرين من الفلاسفة أن الرحمة تتعارض مع قانون الطبيعة الذى يقول ببقاء الأقوى والأصلح ، وهذه فلسفة مادية إلحادية تنادى بمبدأ القوة وسحق الضعفاء ، وهذا من ضلال العقل البشرى حينما يركن إلى نفسه ، ويعطى ظهره للرسالات السماوية ونداءاتها فى وجوب التراحم والبر والعطف .

قال تعالى : « وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة » وقال صلى الله عليه وسلم : « لايرحم الله من لم يرحم الناس » .

الحلم والعفو :

قال الله سبحانه وتعالى : « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » وقال : « فمن عفا وأصلح فأجره على الله » .

ومن أعظم منازل الحلم الإحسان إلى المسئ ، وهى منزلة لاينالها إلا ذو حظ عظيم ، ومن دعاء النبى صلى الله عليه وسلم : « اللهم أغنى بالعلم ، وزينى بالحلم ، وأكرمنى بالتقوى ، وجملنى بالعافية » .

الصبر :

قال الله سبحانه وتعالى : « ولنبلونكم بشئ من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين » وقال : « والله مع الصابرين » وقال : « وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « الصبر ضياء » وقال : « من يتصبر يصبره الله ، وما أعطى أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر » وقال : « عجبا لأمر المؤمن ، إنَّ أمره كله خير ، وليس ذلك لأحد إلا لمؤمن ، إنْ أصابته سراء شكر ، وإن أصابته ضراء صبر »

الكرم والسخاء :

قال الله تعالى : « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » وقال :

« يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ماكسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض » وقال : صلى الله عليه وسلم : « السخاء شجرة من أشجار الجنة ، أغصانها متدلية إلى الأرض ، فمن أخذ بغصن منها قاده ذلك الغصن إلى الجنة » وقال : « إن الله جواد يحب الجواد ، ويحب مكارم الأخلاق ويكره سفسافها » .

وأعلى مراتب السخاء والجود ، أن تسخو بالمال مع حاجتك إليه ، وقد مدح الله الأنصار الذين اقتسموا أموالهم مع إخوانهم المهاجرين فقال فى حقهم : « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » .

التقوى :

قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته « وقال : « فاتقوا الله ما استطعتم » وقال : « وتزودوا فإن خير الزاد التقوى » وقال « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب » وقال : « ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اتقوا الدنيا ، واتقوا النساء ، فإن أول فتنة بنى إسرائيل كانت فى النساء » .

ومن دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم إنى أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى » .

التوكل على الله :

قال الله تعالى : « وتوكل على الحى الذى لايموت » وقال : « ومن يتوكل على الله فهو حسبه » وقال : « الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل . فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم » .

وعن عمر رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير ، تغدو خماصا وتروح بطانا » .

وعن أنس رضى الله عنه قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قال إذا خرج من بيته ، بسم الله ، توكلت على الله ، ولاحول ولاقوة إلا بالله ، يقال له : هديت وكفيت ووقيت ، وتنحى عنه الشيطان » .

التواضع :

قال الله تعالى : « واخفض جناحك للمؤمنين » وقال : « فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى » .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مانقصت صدقة من مال ، ومازاد الله عبدا بعفو إلا عزا ، وماتواضع أحد لله إلا رفعه الله » .

الحيـاء :

ومعناه خلق يبعث على ترك القبيح ، ويمنع من التقصير فى حق ذى الحق . عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة ، فأفضلها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « الحياء كله خير » .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء فى خدرها ، فإذا رأى شيئا يكرهه عرفناه فى وجهه .

القول السديد :

قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا . يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « لايستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه » .

بر الوالدين :

قد رأيت أن كل الأديان أوصت ببر الوالدين والإحسان إليهما وإكرامهما ، ونزيدك هنا بيانا ، فإن بعض الأبناء العققة فى هذا

الزمان يعتدون على الآباء والأمهات ، وبلغ العقوق إلى حد الضرب والقتل ، والعياذ بالله .

قال تعالى : « واعبدوا الله ولاتشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا » وقال : « ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين أن اشكر لى ولوالديك » .

وعن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « رغم أنف ، ثم رغم أنف ثم رغم أنف من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كلاهما فلم يدخل الجنة » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « بروا آباءكم تبركم أبناؤكم » .

صلة الرحم :

قال الله تعالى : « واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام »

وقال : « وبالوالدين إحسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت إيمانكم » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الرحم معلقة بالعرش تقول : من وصلنى وصله الله ، ومن قطعنى قطعه الله »

وعن أبى هريرة أن رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم : إن لى قرابة أصلهم ويقطعوننى ، وأحسن إليهم ويسيئون إلىّ ، وأحلم عنهم

ويجهلون عليّ . فقال : لئن كنت كما قلت فكأنما تُسِفُّهم الملّ ، ولايزال معك من الله ظهير عليهم »

التعاون :

قال الله تعالى : « وتعاونوا على البر والتقوى ، وقال صلى الله عليه وسلم : « منْ نفّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة ، والله فى عون العبد ماكان العبد فى عون أخيه » .

البشاشة :

قال صلى الله عليه وسلم : « لاتحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق » .

وقال : « الكلمة الطيبة صدقة » .

وقال : « مامن مسلميْن يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يفترقا »

وقال بعض الشعراء :

بنىّ إن البـر شئ هين وجـه بشوش وكلام لين

أدب المجالس :

قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا فى

المجالس فافسحوا يفسح الله لكم » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « لايقيمن أحدكم رجلا من مجلسه ثم يجلس فيه ، ولكن توسعوا وتفسحوا » .

أدب الاستئذان :

قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون . فإن لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فأرجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم » .

وقال : « وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنما جعل الاستئذان من أجل البصر » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الاستئذان ثلاث ، فإن أذن لك ، وإلا فارجع » .

السماحة فى البيع والشراء :

عن جابر رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « رحم الله رجلا سمحا إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى » .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «كان رجل يداين الناس ، وكان يقول لفتاه : إذا أتيت معسرا فتجاوز عنه ، لعل الله أن يتجاوز عنا ، فلقى الله فتجاوز عنه » .

رد التحية :

قال الله تعالى : « وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها » .

وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « والذى نفسى بيده ، لاتدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولاتؤمنوا حتى تحابوا ، أفلا أدلكم على أمر إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم » .

الحب فى الله :

قال الله سبحانه وتعالى : « والذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم »

وعن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان ، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لايحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود إلى الكفر بعد أن أنقذه الله منه ، كما يكره أن يقذف فى النار » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا

ظله ، إمام عادل ، وشاب نشأ فى عبادة الله عز وجل ، ورجل قلبه معلق بالمساجد ، ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال : إنى أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لاتعلم شماله ماتنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه » .

ـ تم بحمد الله ـ

سوهاج فى يوم الأربعاء
٢٤ من شعبان سنة ١٤٠٧هـ
٢٢ من إبريل سنة ١٩٨٧م

الفهرس

الصفحة

رقم الإيداع : ٨٧/٨٤٠٦

الترقيم الدولى : ٨ - ١٥٦ - ١٤٨ - ٩٧٧

الاخـــلاق

الحديث عن الأخلاق فى هذا العصر حديث محض يشق على النفس . ذلك ان كثيرا من مشكلاتنا الاجتماعية الراهنة تعود فى النهاية بعد تحليلها إلى الأزمة الأخلاقية التى يعانيها عالمنا المعاصر الذى تسود فيه أخلاق الأثرة والأنانية وحب الذات والجرى وراء المادة والمكاسب بأى طريقة او وسيلة مشروعة كانت او غير مشروعة .

ان الانسان نفحة من روح الله ، ولم يخلقه الله فى هذه الحياة عبثا . وما دامت فطرته مهيأة لارادة الخير وإرادة الشر ، فإن الدين الذى انزله الله يضع بين يديه المبادئ الأخلاقية التى تبعده عن الشر وتهديه الى الخير

القاهرة : ١٦ شارع جواد حسنى - ت ٧٧٤٥١٨ / ٧٧٤٨١٤
بيروت : ص . ب ٨٠٦٤ - ت ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٣١٢

٢,٥٠